مقعد قرب النافذة

د. حسين مرعي - مقعد قرب النافذة ، قصص

رقم الإيداع : ٢٠١٧/٢٩١٥٤ ISBN : 978-977-798-100-2

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره ، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صورة كانت إلا بموجب موافقة خطية من الناشر .

© دار الحلم للنشر والتوزيع

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

Mob : 00201141824562

dar_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@Gmail.com

مقعد قرب النافذة

مجموعة شبه قصصية

د. حسين مرعي

إهداء

إلى فارس القصة القصيرة ..

د. يوسف إدريس ..

حيث تظل «نظرة» عمل فريد تجمع فيها كم هائل من المشاعر الإنسانية ..

حسين مرعي

على سبيل التقديم

الكتابة هي شكل من أشكال الحديث الصاخب مع النفس. وهى تشبه لحد كبير المسكنات، فهي تمنح الجسد راحة لفترة وجيزة ولكنها تهلك أجهزة أخرى حيوية. الكتابة تشبه تلك الدموع التي تنهمر بحرقة وفى نفس الوقت يطهر ملحها العين ويزيد بريقها. هي يد أمك الحانية التي تربت على كتفك فتهدئ روحك الجزعة. وتمثل الكتابة نوع مقبول من جلد الذات وحثها على المقاومة. وتظل الكتابة تجربة شخصية وأثر الفراشة الذي قد يغير كل شئ، وهى انعكاس كاتبها حتى وإن لامست تفاصيل لدى الآخرين.

أما عن هذه المجموعة شبه القصصية، فهي تمثل تجارب ذاتية واقعية وخيالية، هي نقش غير متقن يسهل طمسه، وحفر غائر في أعماق النفس .. هي نبش في الماضي ومحاولة نسيانه في الوقت ذاته. الكتابة سباق للجري غير معروف له بداية أو نهاية ولا حتى أسماء المتسابقين المشاركين فيه. هذه المجموعة ليست محاولة

جـادة للكتابـة، فقـد كُتبـت تـارة عـلى صفحـات ورق وتـم إلقاءهـا أو فقدانهـا بسـهولة، ونُـشرت تـارة عـلى مواقـع إلكترونيـة دون سـبب واضـح. فهـي وإن حملـت عناويـن محـددة تظـل غـير مرتبطـة بشـئ ولا ببعضهـا البعـض وغـير منطقيـة ولا تعـبر بالـضرورة عـن صاحبهـا ولا تعكـس حياتـه الشـخصية .. هـي باختصـار كتابـة للعـدم.

الوتر الأول
الشجرة الأم .. في البدء كانت هي

«بين يدي الأم تُنسج خيوط البداية
ولديها تكون النهاية»

ربتت بيدها الدافئة على جبينه المتصبب عرقًا في عز شتاء «طوبة».. كانت الساعة تشير للسابعة صباحًا حين أتعبتها المحاولات أن تحثه على النهوض من فراشه .. كان يحاول أن يغطى وجهه بتلك «البردة» المصنوعة من الصوف وكأنها قطع حديدية ثقيلة فكانت المهمة شاقة عليه.

كانت أمه تجلس وقد أسندت خدها على معصمها الأيمن تنتظر الفرج من الله .. وقد بدأت محاولاتها تتنوع ما بين الترغيب والترهيب .. مرة بأن فترة غيابه بالمدرسة ستتجاوز الحد المسموح به وليس هناك سبيل من فصله من المدرسة .. ومرة أخرى بأنها مجرد ساعات قليلة تمر على عجل يقضيها في المدرسة ثم يعود لفراشه الوثير الدافئ الذي سيكون في انتظاره.

وكانت غالبًا ما تنجح محاولات الترغيب فينهض على مضض تجول في خاطره كل الأحلام بساعات الدفء فينطلق إلى مدرسته يحوطه دعائها المعتاد كل يوم: «ربنا يحبب فيك خلقه حتى النصراني دَقَّ الصليب» .. كان قد بلغ الحلم ورغم ذلك اعتاد أن ينام في حضنها كل ليلة .. فقد كان فتاها المدلل رغم كثرة أولادها وكانت تشترى له حلوته المفضلة كل مساء .. كانت كالشجرة ممتدة الجذور في باطن الأرض .. صلبة وعنيدة .. هشة وحنونة كالأطفال .. كانت

تدعوه كل يوم لجلسة خاصة .. يا ولدى أقبل أعلمك كلمات:

يا ولدى فخر الناس في التعليم لا المال ..

يا ولدى حين يموت الأب تصاب الأم بالرعب والخوف من الفشل..

يا ولدى أنتم رهاني الكبير في الحياة فلا تكن سبب في خسارتي، ولا تجعل الناس يُعيّروني بكم ..

وقد كانت في كل مساء تفك عقدة كيس مصنوع من البلاستيك ممتلئ بشتى أنواع الأدوية، تبتلع الحبات على مضض .. ويوم أن عرفت حقيقة مرضها تجنبت أن تشاركهم الطعام مخافة أن يكون مرضها من النوع «المعدى» .. أجل يا أمي .. «وجع القلب معدى» .. كان القلب قد وهن في بلاد يغلفها الحزن .. لم تلتحق بمدارس لكنها كانت ماهرة في الحساب وكانت تميز الأدوية بشكل ولون الكبسولات .. اليوم حبة صفراء والليلة حبة مرة المذاق.

في عفشها المتهالك كانت تحتفظ بأشياء من زمن بعيد .. صندوقها الخشبي المشغول من خشب البلوط والمرصع بنجمات من الصدف والذي كان أهم عنصر من مقتنيات جهاز فرحها الثمين .. فقد كانت تردد على مسامعهم دومًا أنها كانت بمثابة عروس لقطة لأبيهم بسنها الذي لم يكن قد تجاوز الرابعة عشر حينها وأصولها التركية.

كان الصندوق القديم يعج بعملات قديمة وأقماع صلدة من

سكر القصب ملفوفة بورق ناعم .. عرائس قديمة .. حلوى المولد النبوي مخزنة من سنين .. وأوراق هشة ومطموسة لعقود تملك أراضى زراعية.. وبجانب الصندوق كان يوجد سرير حديدي مفرغ ومصبوب فوق قواعده مونة الأسمنت لتثبيته بأرضية الغرفة .. كان السرير مرتفع عن الأرض وكان يُصعد إليه بواسطة درج صغير من الخشب .. ودائمًا ما يتساقط عليه بقايا دهان متجعد من ذلك الذي يسقط عن السقف بفعل احتكاك أعمدة السرير الأربعة البارزة .. وتعلوه «ناموسية» لم يتبق منها شئ سوى قطعة قماش مهلهلة تتدلى من طرف السرير ..

أما في الخارج، فهناك دكة قديمة من خشب السنط يعلوها سجادة صلاة خضراء مزينة برسم للكعبة المشرفة مثبتة على الحائط.

كان المرض قد أعياها فما كانت تستطيع الحركة طوال الوقت غير أنها لا تطيق الصلاة جالسة .. وكانت تردد دومًا وهل يقبل الله صلاة المقعدين ما ظلوا قادرين على الوقوف؟ .. وكانت تردد على مسامعه كل مساء حكايات عن أبيه الذي كان فارسها المنتظر وكيف كان الجميع يقسمون «بحياته» ثم «رحمته» بعد مماته .. هيبته عند الرجال وفزع النساء عند سماع صوته الجهور .. عن شركاءه الذين خانوا الأمانة بعد رحيله فأنكروا نصيبه وما عليهم

مـن ديـون.

وفي لحظـة وفاتـه ومـع صـوت الـصراخ المـدوي والـذي امتـزج بصـوت النائحـات الـلاتي تخضـبن بالطـين واتشـحن بالسـواد كأنهـن غربـان سـود .. انهالـت أمـه تمـزق كل مـا وقـع عليـه بصرهـا وطالتـه يداهـا، فـلا قيمـة لشـئ مـن بعـده .. كانـت كلـما تذكـرت تـردد أن اللـه هـو المخلـف وهـو نعـم الوكيـل.

ولا يـكاد يخلـو مسـاء دون أن تحدثـه عـن فـترات صبـاه وكيـف أصر أن تخـرج بشـعرها المسـدل حتـى ناصيـة الشـارع .. وكان أبـوه يأمرهـا أن تطيعـه ويـردد أنـه مـازال طفـل صغـير .. حتـى نسـاء الحـي لم يسـلمن منـه .. فتلـك أصابهـا منـه حجـر صغـير ألقـاه في وجههـا في لحظـة ثـورة .. وتلـك أهـال عليهـا الـتراب بينـما لفـت نفسـها بمـلاءة سـوداء تحجبهـا عـن عيـون المـارة فقـط لمجـرد أنـه لم تعجبـه هيئتهـا.

وفي طريـق عودتـه مـن المدرسـة كان يطيـل التوقـف عنـد الكنيسـة القديمـة بوسـط البلـدة .. ففـي هـذه المـكان، كان يقـف بائـع النبـق وجـلاب عسـل السـكر في موضعـه منـذ سـنوات وكان قـد اعتـاد أن يشـترى منـه بـكل مـا تبقـى معـه مـن مـصروف اليـوم.

وعندمـا وصـل إلى حـدود منزلـه، كان صبيـة يلعبـون الكـرة وأرجلهـم حافيـة إلا مـن خـرق مـن القـماش لفوهـا حـول أرجلهـم كأنهـا أحذيـة رياضيـة .. غـير أنهـا لم تكـن تمنـع وخـز الأرض الصلبـة ولا كـسر الزجاج

المهشم والمتناثر في كل مكان .. انطلق يشاركهم اللعب، غير أنه لمح أمه تطل من الشباك المفتوح على مصراعيه ويكاد يسقط على المارة.

كانت تنتظره بترقب خشية أن يغافلها ويمضى في طريقة باتجاه النهر .. كان الصبية يتجمعون عند سور أحد النوادي المهجورة المطلة على النيل، ومن أعلى سوره يلقون بأنفسهم عرايا في النهر واحدًا تلو الآخر .. كانت تلك مسابقتهم الوحيدة في شهور الصيف إلى جانب كرة القدم التي لم تكن مرتبطة بموسم محدد. كانت أمه تحكى له دائمًا عن حكايات النهر .. عن الذين نزلوه فما عادوا أبدًا .. عن الجنية الحسناء التي فقدت أولادها فتنادى على الأطفال وتتعلق بأيديهم صارخة أنهم لها فلا تتركهم يخرجون من النهر .. فكان النهر آخر مكان يفكر للذهاب إليه .. النهر في الجنوب رعب وفزع وموتٌ كبير.

أسرع الخطى وأزاح الباب الخشبي المتهالك وفى لمح البصر كان في الطابق العلوي .. كان المكان هادئًا إلا من صوت بنت الجيران التي تصرخ ليل نهار .. فقد كان والدها يعاملها بقسوة وخاط فمها ذات يوم بإبرة خياطة حتى تتوقف عن الصراخ .. وهرولوا بها إلى المستشفى في ليلة كالحة لا تُنسى حين قررت الانتحار فابتلعت ثلاثين حبة من أدوية الضغط التي كانت تُعالج منه أمها .. ألقى

شـنطته المدرسـية في طـرف الغرفـة وارتمـى في حضـن أمـه..

ولم يلتفت للسرير الوثير ...

***

الوتر الثاني
وردشان

«فوق منحنى الصدفة
يتراكم فتات من السعادة»

كان وقت الغروب يخيم على أرجاء البلدة الصغيرة .. جمع من الناس على رصيف القطار المتجه جنوبًا والأمتعة المتناثرة على الرصيف المتهدم تجعل السير مهمة صعبة. وبينما كان يحاول السير، كانت هي تجلس في مكان منعزل وكأنها ملكة ترعى شئون العامة من برجها العاجي .. اقترب حاملاً أمتعته التي لا تخلو مما أعدته أمه قبل كل سفر .. توقف القطار للحظات فاندفعا للداخل مع جموع المسافرين .. بصعوبة بالغة وصلا إلى مقاعدهما التي كانت متجاورة .. جلست في صمت وجلس هو يتأمل ما أفاض به الرب.

كان الباعة الجائلون يخترقون ذلك الصمت وينثرون الحلوى أو دبابيس الشعر وأشياء أخرى لا تخطر على البال .. حاول أن يفتعل أي نقاش فكانت لا تعيره انتباهًا.. أتعبته المحاولات فقرر أن يبادلها الصمت وأن يقرأ بعضًا من الشعر .. رفع صوته بالقراءة: «أنا حوار الحالمين .. عزفت عن جسدي وعن نفسي لأكمل رحلتي الأولى إلى المعنى».

أعجبتها الكلمات فبدأت تتحرك قليلاً وقد ظن قبلها أنها وديعة من شمع سيأتي من يتسلمها يومًا ما .. التفتت باتجاهه وسألته:

مـن قائـل هـذه الكلـمات؟ .. فابتسـم: إنـه «الدرويـش» .. طلبـت أن يعيرهـا الديـوان للحظـات، بـدأت تتصفـح ودمعـة رقيقـة لمعـت في أحداقها .. فألقـى نظـره إلى صفحـات الديـوان فوقـع بـصره عـلى «أنـا لسـت لى» .

انطلـق يحـكى لهـا عـن حياتـه وأيـام الصبـا وكأنـه أحـد رواة التاريـخ المعاصريـن .. حـكي عـن عشـقه للشـعر وعـن محاولاتـه الأولى للكتابـة في كراسـة واجباتـه المدرسـية .. وكيـف كان يخفـى خواطـره بـين كتبـه وحاجياتـه الأخـرى .. وضحـك حـين أخبرهـا أنـه تصبـب عرقًـا حينـما اسـتوقفته بنـت الجـيران يومًـا لتسـأله عـن شـئ مـا .. وحينـما أراد أن يعلـن للملأ عـن كتاباتـه أرسـل خطابـه الغرامـي الأول لزميلتـه في المدرسـة .. فوقـع الخطـاب في يـد مديـر المدرسـة والـذي قـرر فصلـه لمـدة ثلاثـة أيـام متواصلـة.

كانـت هـي تنظـر إليـه بينـما يتحـدث وكأنـه يـروى أشـياء تعرفهـا مـن قبـل ومـرت بأحداثهـا .. كانـت ترفـض أن تبـوح بـأي شـئ حتـى حـروف اسـمها .. اقـترب مـن محطـة نزولـه فطلـب منهـا أن يتبـادلا أرقـام الهواتـف .. وافقـت فقـط أن يعطيهـا رقمـه الشـخصي .. دس في يدهـا قصاصـة الـورق مـن دون أن يشـعر أحـد وتـاه في الزحـام.

جلـس بعدهـا ينتظـر في لهفـة أن يسـمع صوتهـا مجـددًا .. مـرت ثلاثـة

أيـام ثقيلـة كتلـك التـي تشـبه عقـاب مديـر المدرسـة مـن قبـل .. رن جـرس الهاتـف، جـاء صوتهـا متقطعًـا كأنهـا تختلـس الـكلام .. تواعـدا أن يلتقيـا عـلى ضفـاف النيـل في تلـك البلـدة الجنوبيـة التـي تحوطهـا الجبـال .. التقيـا، سـاد الصمـت مجـددًا ولكنـه صمـت مختلـف عـن المـرة الأولى .. انطلقـت الأيـدي تبحـث عـن قرينتهـا .. انسـحبت يدهـا لتعلـن غربـة الأيـدي .. اندمجـا قليـلاً .. تشـابكت الأيدي المرتعشـة من رهبـة أول لقـاء .. كانـت تشـعر أنـه منهـا .. وهـو يشـعر أنهـا حلمـه المنتظـر .. عـبرا النهـر المتدفـق بـكل خـير .. كانـت جزيـرة الياسـمين مـكان اللقـاء الأول .. مـرت السـاعات كأنهـا برهـة مـن الزمـن .. لم تكـن البلـدة بلدتهـا ولم يكـن كل مـا حـدث في مخيلتهـا يومًـا مـا.

هي: كأنك هو.

هو: من هو؟

هي: حلم العمر الممزوج بلون البنفسج.

هو: كأنك هو.

هي : من هو؟

هو: فرح أيامي واستجابة دعائي المؤجلة.

جـاء الغـروب لينهـى اندماجهـما .. كان ميعـاد القطـار المتجـه إلى بلدتهـا قـد اقـترب .. ألـح عليهـا مـرة أخـرى أن تبـوح باسـمها .. ألقـت

نظـرة خجلـة عـلى عينيـه المتلهفـة واعتراهـا الصمـت.

هو: أتخافين؟

هي: أنت لا تفهم.

هو: ؟

هي: أخاف من مجهول يجمعنا سويًا.

هو: أنا مستعدٌ أن أخوض بحار من نار.

هي:فديتك الروح قبل الجسد.

هو: ماذا تخفى عنى؟

هي: آه يا قدري الذي يشبه الحلم .. يا وجعي الوردي.

هـو: أنـا الليـل يرجـو اندماجًـا بالنهـار .. وهـى النهـار يخـشى اجتيـاح الليـل .. أنـا لا أريـد جسـدك الرخامـي الأملـس .. فلـماذا تبكـين؟ .. فامنحـي رحيقـك لمـن شـئتِ .. أمـا أنـا ففـي روحـك موطنـي ويقـين .. الهـوى عنـدي روحـان مندمجـان كمـزجٍ مـن عطـور الياسـمين .. أنـا في الهـواء وفى أجنحـة الفراشـات .. أنـا في كفـك الأيـسر منفـردًا وحزيـن. أنـا في قطـرات المـاء منهمـرًا مـن حيـث لا تشـعرين.

انطلقـت مسرعـة لتلحـق بالقطـار .. ذهـب يودعهـا فأشـارت إليـه أن يتوقـف .. أدارت ظهرهـا وتمتمـت: وداعًـا أيهـا الفـرح .. ظـل يراقبهـا بينـما تتـوارى بـين الجمـوع .. كانـت كلـما ابتعـدت كلـما ضـاق

صدره.. فمنذ لحظات كان المكان روضة من باقات الزهر المتناثر والآن صار مقفرًا وخاويًا على عروشه.

أحقًا كانت هنا؟ وهل تواعدا بالفعل والتقيا أم أن شمس الجنوب الحارقة كان لها تأثيرها السريع؟ .. دارت برأسه جملة من الأفكار وألقى نظرة متصلة على موجة هادئة آتية من بعيد لتصطدم بالصخرة التي يجلس عليها .. مد كفه يغترف بعض قطرات ليتيقن أن الماء ماء وأن النجوم المبتسمة في السماء ليست من عمل الشيطان.

ظل طوال الليل هائمًا على وجهه يحصى مصابيح الشوارع ويردد «لا تفارق حلمك .. دع صوتك يعلن عنك .. لا تدع قلمك يهرب منك .. اكتب عنها .. لا تدع الفرصة تفوتك .. اكتب غزلاً.. انثر حرفك يعلو شأنك .. أتراك نسيت شفاها؟ أنسيت عبيرًا كان يملأ يومك؟ أنسيت الورد الساكن جسدًا غضًا؟ أنسيت الفجر القادم من ثغر أذهب همك؟ .. اكتب عنها .. دع شعرك يعبر بحرًا بحرًا.. احفر اسمك في دائرة الضوء ولا تدع غيرك يسرق فرحك».

رددها ودمعة متحجرة في العين حاول أن يخفيها عن أعين الناس.. عاد إلى بيته وحيدًا ككل يوم .. فلا صديق يواسى ولا حبيبة تتلهف لعودته .. كان الوقت متأخرًا من الليل حين رن جرس الهاتف ..

جـاء صـوت خافـت مخنـوق ممـزوج بـكل آهـات الدنيـا .. كانـت هـي وقـد نطقـت ببضـع كلـمات:

الليلة فرحى واسمي وردشان ...

***

الوتر الثالث

هي نور دنياي.. إبداع الأحرف الأولى

«في الحروف المتقطعة
بعضٌ من سر الإله الأعظم»

تـرددتُ كثـيرًا أن أكتـب عنهـا بعدمـا تذكـرت ذلـك الخطـاب الطويـل الـذي كتبتـه وأنـا واقـف عـلى قدمـيّ في مكتـب البريـد في ذلـك اليـوم الـذي لم تطلـع فيـه الشـمس واسـتمر هطـول المطـر بعـده ليومـين كاملـين .. كان بصحبتـي وقتهـا صديقـي السـوداني فـارع الطـول والـذي أزعجـه توتـري فقـرر ألا يتركنـي ..

أرسـلت الخطـاب عـلى عجـل وانطلقنـا نجـوب الشـوارع التـي غسـلها مـاء المطـر .. أصر بعدهـا أن نتنـاول الطعـام سـويًا .. أعـد في أقـل مـن سـاعة صـدور الدجـاج المغطـاة بصـوص البصـل عـلى الطريقـة السـودانية .. في جانـب الغرفـة التـي احتـل الفـرن وقاعدتـه الخشـبية نصـف مسـاحتها بدأنـا في الأكل عـلى طاولـة صغـيرة .. أكلـت بعضًـا مـن الطعـام إرضـاءً لـه .. فلـم أكـن أشـعر وقتهـا بـأي نهكـة رغـم أنـه طبـاخ ماهـر .. شـكرته عـلى لفتتـه الطيبـة وانسـحبت في هـدوء لغرفتـي المجـاورة لـه في السـكن الجامعـي .. ألقيـت بجسـدى عـلى السريـر وبـدأت تتسـلل مـن ثقـوب الذاكـرة بعـض مشـاهد الحـدث. عيناهـا المكتحلتـان وملامـح الطفولـة .. غطـاء رأسـها الـذي يشـبه هالـة القديسـين يحيـط بوجههـا المـضيء كأنـه يـوم عيـد الوطـن ..

رائحة عطرها المنتشرة على صفحة ماء النيل الذي يجئ دومًا بالخير ويكتم أسرار العاشقين .. ألوانها الرائعة التي تدل على قلبها النقي كأنهار الجنة .. وبدأت تتخبط في رأسي مقاطع من ذلك الخطاب الذي أرسلته أول النهار.

المشهد الأول : غير مرئي

المكان: بقعة غير مباركة

الزمان: توقيت خاص

الشخصيات: هي

ستار أبيض ...

هي كما وصفتها كتب التاريخ .. نقش غامض وطلاسم يستحيل حلها في عمر الدنيا .. لونٌ جديد على قائمة الألوان ومزجٌ خاص من عطور الجنة .. تأتى بالنور فينسجم الورد مع أهل الأرض ويدور في فلك الدنيا قمر جديد باللون الموف .. تنتشر سحب بيضاء خفيفة ويهطل في المساء على أهل الأرض .. ياسمين وقمح وأسماك .. هي جسد من نور يتناغم مع الفراشات فتحيى حياتها الأبدية .. تبتسم وكأنها تعويذة سحرية فينفرج الهم ويعم الخير.. شيئان يأتيان بالهدى من بعيد فأتحضر .. أصّاعد .. أسّاقط .. أتسلق في لحظات خرائب بلدتنا القديمة فتستحيل الأفنان .. أزداد انبهارًا فتكثر حولي العذارى متطهرات بماء الياسمين ومتشحات بالنجوم .. ألف حولي جسدي المتصدع كالبلور عباءة التعميد

وأنتظـر المزيـد ..

المشهد الثاني: غير مرئي

المكان: بقعة غير مباركة

الزمان: توقيت خاص

الشخصيات: نور

ستار أبيض ...

نـور يسـطع عـلى الخاطئـين المخلَصـين مـن الشـيطان .. مدائـن مـن الحضرة العليا تهز الأجساد التي أثقلتها الهموم .. وفود تتبع وفود عـلى البقعـة المباركـة منهـا .. يحتضـن كفهـا الصغـير فيعلـو وجههـا الطفـولى اللامـع ابتسـامة رقيقـة .. تنفـرج شـفتها السـفلى المكتظـة بالتـوت الـبرى فتبـدو للناظريـن مـن عبـاد اللـه المتقـين فصـوص اللؤلـؤ المصطفـة .. نـورٌ يتبـع نـور .. حقيقـة سـاطعة وسـط زخـم الزيـف المتراكـم عـلى الأرض ..تنطـق رويـدًا رويـدًا فتتناثـر الكلـمات كأنهـا أبجديـة القـرون الأولى.. إبـداع وإيجـاز .. أشـار إليهـا: ائتنـي بوليدنـا الأول .. أجابـت: أنـا لسـت مثقلـة ببضعـة منـك !! وتسـاءلت: هـل تنبـت الأرض مـن غـير مـاء، وهـل تمطـر السـماء مـن غـير تراكـم السـحب ؟ فابعـثْ خيولـك تركـض في عتمـة ليـلى واجعـلْ أناملـك تداعـب شـعري تهـب نسـائم تفجـر ينابيـع عطـري .. فـذقْ إنـك أنـت المرتجـى .. وانعـمْ بـروضي لعلـك تـرضى .. وانـثرْ بـذورك في تجاويفـي المتشـوقة يأتيـك بعـض خـيري .. دائمـا هـي عـلى عجـل وكأنهـا فراشـة

استأذنت لبعض الوقت من مخدعها في الجنة وحطت بجانبي .. ترسم فوق جسدي المدنس مخربشات من وحيها المجرد فيحترق الشيطان .. ذهب الظمأ وتساقطت السيئات.

المشهد الأخير : غير مرئي

المكان: بقعة غير مباركة

الزمان: توقيت خاص

الشخصيات: دنياي

ستار أبيض ...

دنياي .. منذ أتيتِ إلى عالمي .. عاد لي قلمي وتراقصت أحرفي على صفحات الورق .. منذ التقيت بك .. عادت للحياة حياتي وتصالحت مع نفسها نفسي .. سيدتي، هل أتيتِ في أخر الزمان لتعيدي زهاء الألوان؟ ويعود النبض لموتى وتنبت في شراييني زهورك؟ هل أتيتِ لتمحى معاناة الأنبياء ويسود السلام؟ هل أتيتِ بالنور من عند الله لتمحى الظلم و الظلام؟ سيدتي، كم يحتاجك كوكب الأرض .. والإنس والجان .. انشري في الأرض المحبة.. اغسلي كوكب الأرض من كل الدنس .. وخففي أوجاع القمر .. أعيدي الأبجدية والحضارة وانقشي من الصفر تاريخنا على الحجر.. كوني في كل الأزمان وفى اللاوقت وفى أجمل أوقات السحر ..

انسحبت برفق كعادتها كأنها بخار ماء يتطاير في يوم صيف.. تابعتها بنظراتي كأي مريد صوفي أرهقه العشق فهجر الدنيا وجلس

ينتظر المدد .. انتظرت منها أي شئ مما كنت أتمنى .. ابتسامة تنهى أيامي الكالحة أو كلمة أضيفها إلى أبجدية الكلام.. لكنها كعادتها لا تهتم بأهل الدنيا وكأنها تنتظر وفدًا من أهل الجنة.. انطلقت مسرعة كالضوء تنتشر في كل الاتجاهات .. ابتسمت كعادتها وتاهت في الحياة .. أطلتُ النظر في صورتها التي يفوح عطرها في كل المكان ثم غفلت عيناي .. ظللت أنتظر ردها الذي توقعت وصوله في غضون أسبوع على الأكثر .. مر الأسبوع.. ومرت إحدى عشر سنة ولم يصل شئ .. يبدو أن خدمة البريد سيئة جدًا في هذا البلد !.

ستار أسود أخير ...

***

الوتر الرابع
ثورة الورد

«الأحلام وحدها
قادرة على فرض التغيير على هذا العالم»

نظـر في سـاعته التـي كان يعلوهـا الصـدأ، فقـد جـاوزت الشـمس عـلى الغـروب ولم تـأتِ بعـد .. اعتـلى صخـرة قريبـة وألقـى بنظـرة عـلى الصحـراء الممتـدة حولـه ولا أثـر لشـئ .. كانـت عاصفـة رمليـة تتهيـأ لتغطـى المـكان .. فقـرر أن ينسـحب. اقـترب مـن أطـراف الواحـة .. وعنـد البـئر القابـع بـين جمـع مـن النخيـل كأنـه الحـرس الخـاص لمـاء القبيلـة كانـت تحمـل جرتهـا وتتهـادى كفراشـة أعياهـا الضـوء .. وكان يتبعهـا كظلهـا قطتهـا البيضـاء.. ابتسـم لهـا .. احمـرت خجـلاً وارتعشـت .. سـقطت منهـا الجـرة .. هـمّ يسـاعدها .. همـس في أذنهـا .. نسـيتِ الموعـد؟ كانـت تعرفـه منـذ الصبـا حـين جذبتهـا مهارتـه في رقصـة الـ» طجـو طجـو» عـلى جريـد النخيـل تلـك الليلـة في احتفـال القبيلة بعيـد الليالي القمريـة .. وكانـت تعشـق فيـه أحلامـه وكلامـه عـن جـزر الـورد .. كانـت تواعـده كل يـوم قبـل غـروب الشـمس ليحـكى لهـا عـن تاريـخ الأجـداد .. لم يكـن يكبرهـا كثـيرًا .. لكنـه كان يعشـق تاريـخ بـلاده ويحفظـه عـن ظهـر قلـب كقصيـدة شـعرٍ جاهـلي .. كان يبتسـم طويلاً حـين يلقاهـا ويخبرهـا أنهـا تذكـره بمـا يـراه في الحلـم .. ترتـدي ثـوب

أبيـض وتنـثر عـلى العالمـين الـورد .. كان يعشـق فيهـا ألوانهـا الزاهيـة كملابـس عـذراء في ليلـة عـرس و»خلخالهـا» الفـضي الـذي يصـدر ألحانًـا كغنـاء الطـير كلـما لامسـت قدماهـا الأرض.

كانـت مولعـة بالأسـاطير .. وبذلـك الفـارس الـذي يخـرج مـن جـوف التـل يمسـك سـلال ممتلئـة بسـنابل القمـح .. يعـبر البحـار لأجـل حبيبتـه المقيـدة بسلاسـل ويحرسـها عمـلاق .. أمـا هـو فقـد كان يعشـق تاريـخ القبيلـة .. ويتباهـى بمجـد أبيـه الـذي قتـل بمفـرده ألـف ألـف.

في اليـوم التـالي، انطلقـا سـويًا نحـو التـل .. أجلسـها قريبًـا منـه وظـل يتأمـل مـا أبدعـه الـرب .. كانـت عيناهـا تتكلـم أكـثر .. فقـد ألجمهـا خجلهـا وعرقهـا المتسـاقط كأمطـار الشـتاء .. كانـت تخـبره عـن حلمهـا أن تخـضر الواحـة وأن ينتـشر الـورد.

ضـم عـلى يدهـا .. أخبرهـا أن الحلـم قـد اقـترب، أخـرج مـن جيبـه صرة.. طلـب منهـا أن تفـك العقـدة وتخـرج مـا بداخلهـا .. أطاعتـه كعـادة كل نسـاء القبيلـة .. مـدت يدهـا .. لامسـت بعـض أشـياء .. أخرجـت كل مـا في الـصرة .. وضعتـه عـلى يدهـا .. كانـت بعـض بـذور الـورد.

انتفضـت كمـن لامسـها الجـن .. ابتسـمت ورددت في صمـت، كـم

أعشـق ذلـك الفتـى الممتلـئ بالحـب .. أسرع هـو يحـضر بعـض المـاء كي يتشـاركا في غـرس الحلـم

.. نبشـت الأرض بيدهـا الدقيقـة التـي تشـبه كـف الطفـل .. أزعجهـا مـا اصطـدم بيدهـا .. راحـت تجذبـه .. فقـد كان قطعـة معـدن لا تـدرى لا وصـف .. أقبـل مسرعًـا نحوهـا .. أشـار إليهـا ابتعـدي عـن هـذا الشـئ .. كان بعيـدًا جـدًا .. لم يكـن كلامـه مسـموع ولم تفهـم مـاذا يقصـد .. جذبـت القطعـة بـكل قوتهـا فانفجـرت .. وتناثـرت حبـات الـورد ...

***

الوتر الخامس

دولة الكلمات

«في البدء كانت الكلمة .. فلا تفقدها معناها»

فـزع مـن نومـه يومًـا عـلى صـوت طـرق شـديد عـلى البـاب .. أسرع يلملـم نفسـه ويسـتطلع الأمـر .. هـمّ يفتـح فسـبقه صـوت كـسر البـاب .. اقتحـم المنـزل جمـع مـن أشـباه البـشر في ملابسـهم الغريبـة .. دفعـوه فسـقط عـلى الأرض .. وضعـوا عـلى عينيـه عصابـة سـوداء واصطحبـوه معهـم.

أنتو عاوزين إيه؟ ..

لم يجبـه أحـد .. طـال الصمـت مـع طـول المسـافة .. أرهقـه طـول الانتظـار .. احتـار كثـيرًا ودارت في رأسـه الأفـكار .. توقفـت السـيارة.. أنزلـوه منهـا .. أودعـوه حجـرة مظلمـة وانطلقـوا .. مـرت لحظـات كأنهـا دهـر .. شـعر بصـوت خطـوات تقـترب وصـوت خافـت:

كيف تجرئ يا قرين الشيطان؟

نـزل السـؤال عليـه كالصاعقـة .. فلـم يفهـم مـاذا يقصـد .. طلـب إيضاحًـا .. فجـاءه الـرد: أشـعارك في كل مـكان.

تعجـب وقـد ظـن أنهـم عصابـة خاطفـين سـيطلبون فديـة رغـم أن الفكـرة كانـت غريبـة لأنـه لا أهـل لـه أصـلاً وبالـكاد يجـد قـوت يومـه.. تسـاءل في صمـت، منـذ متـى كان الشـعر جريمـة؟ .. فهـو

يكتب عن العاشقين .. الكادحين .. عن المحرومين .. والعاطلين .. عن المهمشين في أحداث الحب والوطن ..

هو يعرف جيدًا أن غيره له أغراضه الخاصة .. تشغله قضايا ومصالح .. تستهويه امرأة فيطلبها .. أو حفنة ذهب فتتشكل من أجله سبائك .. تنعق باسمه الأبواق .. ويكتب التافهون عن أمجاده المزيفة .. الفضل له دومًا حتى في مواضع النجوم والأشياء المجردة.

وإن كتب شاعر يومًا كلمة فيها نقد لجرائم واضحة فإنه يُتهم أنه يزدرى الدين، بل ويهدد مصالح الوطن .. هم المخلصون دومًا وغيرهم يُشكك في انتمائهم .. وإن قال يومًا أن البلاد تحتضر وأن الفكر لا بد أن يستقيم قبل أن ينحدر .. يهب التافه مفتخرًا نعيش أزهى العصور .. أكاد أجزم باللات والعزى أنه جسور !!

الشاعر يبنى من الكلمات قصور ويهب للعالمين النور .. يتناغم مع الفراشات ويرسم ضحكات أطفال على صفحات الماء .. يجعل من اللالون أجمل الألوان .. ومن الصمت أعذب الأصوات .. الشاعر يهنئ في مملكته .. يحكم بالعدل .. فتستجيب الكلمات.. أما الخائن فيفزعه صوت رصاصة .. وتجتثه من فوق الأرض قصيدة.

قطع خياله صوت ذلك الذي يدعى عشقه للوطن وينعته مرة بالزنديق ومرة أخرى بالخائن:

ويلٌ لك .. ألم تقرأ .. الشعراء يتبعهم الغاوون !

صدق الله، أنا فقط أنكب على نفسي المجردة .. أتكالب على بذرة الشيطان كي لا ترى الشمس فتكبر .. أتوه في مدرات الضمير.. أكتب كي أوارى سَوْءَة الفشل والتناقض.

جذبه بشدة وألصق وجهه بالتراب .. وصوب نحو رأسه فوهة بندقية: ستسكت للأبد وتنتهي الأزمات .. نظر الشاعر في عينيه وابتسم:

اقتلْ ألف مرة .. يبقى المجد دومًا للكلمات ...

***

الوتر السادس
مسافر

«في السفر يكون النسيان أو يتضاعف الوجع»

كانـت امتحانـات نصـف العـام قـد انتهـت فانطلـق يلملـم أشـياءه المتناثـرة في أنحـاء غرفتـه الصغـيرة .. كان القطـار المتجـه لبلدتـه الصغـيرة قـد أوشـك عـلى التحـرك .. وأصدقـاءه في انتظـاره عـلى رصيـف المحطـة لتوديعـه .. نظـر في سـاعته فـأدرك أنـه تأخـر رغـم أن مسـكنه ليـس ببعيـد .. أسرع الخطـى فتعـثر في أشـياءه. وصـل إلى الرصيـف .. صـاح أصحابـه في نفـس واحد:القطـار أتحـرك.. ألقـي حقائبـه داخـل العربـة المزدحمـة كمـن يقـذف حجـارة عـلى الصهاينـة .. ودع أصحابـه وتـاه في الزحـام .. تذكـر وصيـة أمـه قبـل كل سـفر: «إحنـا نسـتني القطـر لكـن هـو مـا بيسـتناش حـد». ألقـي نظرة عـلى المـكان الـذي كانـت إضاءتـه خافتـة وحـاول أن يجـد حيـزًا ولـو صغـير يضـع بـه أشـياءه أو تسـتريح أقدامـه ..

تقـدم قليـلاً إلى منتصـف العربـة .. ارتطـم بصنـدوق ففقـد توازنـه .. أمسـك يـده شـيخ كبـير .. وسـأله: هـل أنـت بخـير؟ الحمـد للـه يـا حـاج .. قـرر ألا يتقـدم خطـوة واحـدة فـلا يعـرف مـاذا سـيواجه إذا توغـل أكـثر.

هـدوء المـكان لا يقطعـه إلا بـكاء الأطفـال ومحـاولات الأمهـات حثهـم عـلى السـكوت .. ألقـى نظـرة مـن النافـذة ذات الزجـاج المهشـم مـن

جـراء حجـارة الصبيـة الذيـن يتنافسـون مـن يصيـب زجـاج القطـارات المـارة ببلدتهـم أكـثر !!.. وبـدأ يتأمـل البنايـات المرتفعـة وهـى تبتعـد وينتظـر بلهفـة أن تظهـر الزراعـات الخـضراء التـي يفتقدهـا .. كان ماهـرًا في أعـمال الزراعـة .. ولهـذا قـرر أن يكمـل دراسـته في هـذا المجـال.

تبسـم عندمـا تذكـر ذلـك الكـوخ البسـيط مـن أعـواد البـوص في وسـط الزراعـات .. كـم كان يعشـق هـذا المـكان .. فقـد كان يتـوارى فيـه مـن حـر الصيـف ويعـزف عـلى النـاي القديـم ويـسرع بإخفائـه عندمـا تنـادى أمـه وهـى تحمـل فـوق رأسـها طعـام الغـداء .. فقـد كانـت توبخـه دومًـا إذا رأتـه ممسـكًا بهـذا النـاي .. وكانـت تقـول بنـبرة غاضبـة أن هـذا يذكرهـا بالغـوازي في المولـد الكبـير.

لحظـات وشـعر بيـد تربـت عـلى كتفـه بعصبيـة .. التذاكـر يـا أسـتاذ .. كان المحصـل قـد ظهـر قبـل توقـف القطـار في المحطـة المقبلـة ونـزول أحـد .. كان حريصًـا جـدًا .. كان يتفحـص المـكان بإمعـان فربمـا يكـون هنـاك شـخص مـزوغ مـن دفـع ثمـن التذكـرة أو شـاب هـارب مـن التجنيـد .. أيقـظ صوتـه الأجـش النائمـين فقـد كان موعـد الإمسـاك قـد اقـترب بالفعـل ..

أخـرج مـن حقيبتـه الجلديـة المعلقـة عـلى كتفـه زجاجـة ميـاه ..

رشف منها قليلاً حتى نادي عليه رجل يفترش الأرض .. ممكن شوية مية يا أستاذ !!

مع نسمات الصبح الباردة بدأ خياله يسرح، كان للشهر الكريم طقوس خاصة .. فبعد صلاة التروايح ينطلق الجميع إلى قهوة «الأحول» .. كانت هذه شهرة صاحب القهوة حيث أنك تتخيل حين تحادثه أنه ينظر إلى كل الدنيا وليس لك أنت فقط .. كانت قهوته عامرة بالشباب والشيوخ .. البعض تستهويه «الطاولة» والبعض الآخر يعشق التلفاز .. كان التلفاز كبير جدًا ولو أنه قديم بعض الشئ ويغطيه التراب .. فقد كنا ننتظر بشغف ألف ليلة وليلة ونهرب في جلودنا رعبًا عندما يظهر على الشاشة ذلك «الأشكيف» .. أما «الأحول» فيظل يراقب الأحداث في قلق، فقد سرق وصلة كهرباء من كشك قريب بحجة زينة رمضان.

مع ضوء الفجر كان القطار قد اقترب من محطته .. حاول جاهدًا أن يتقدم قرب الباب وأشياءه تتساقط يمينًا ويسارًا .. هب شاب يساعده .. أشار إليه لا داعي .. فتح الباب الذي أوجعه الصدأ ووقف يتفقد تفاصيل بلدته الصغيرة .. كان لنسيم الصباح مذاق آخر .. فالهواء النقي ورائحة حقول القمح تجعل العمر ألف عمر .. ومنظر زراعات القصب يروى الظمآن ويشفى العليل ..

جـذب أشـيائه كجائـع يقضـم قطعـة خبـز ناشـف .. تنهـد طويـلاً وعلـت شـفاهه ابتسـامة عريضـة حينـما شـاهد بائـع «البوظـة» ينـادى بصوتـه الجهـور:

«أحلى من العسل .. يا خمرة الغلابة»

كان النهـار رمضـان ومـع ذلـك تزاحـم النـاس حـول بائـع البوظـة، فـلا تـكاد تميـز المسـلم مـن غـيره .. وعـمال الفاعـل الذيـن أرهقهـم العمـل فذهبـوا لاسـتراحة قصـيرة يدخنـون فيهـا سـيجارة كليوباتـرا ويشربـون عـلى عجـل كـوب مـن البوظـة المثلجـة.

انطلـق يجـوب البلـدة ويتفحـص وجـوه النـاس التـي كانـت كـما هـي.. فبلدتـه وإن غـاب عنهـا ألـف سـنة تظـل كـما هـي عصيـة عـلى التغيـير .. فهنـاك بـلاد تظـل دون تغيـير إلى أن يعلوهـا الصـدأ .. منـزل قديـم متهـدم .. عقـار جديـد في أرض كـردون مبـاني .. أعمـدة الإنـارة المطفئـة في الشـوارع .. طريـق غـير ممهـد .. مزلقـان السـكة الحديـد وحـوادث نفـس المـكان .. السـوق القديـم .. سـور الجبانـة ولافتـات الدعايـة الانتخابيـة .. عـم «مرقـص» الحـلاق الـذي يفـترش مكانـه في السـوق .. وبائعـة الخضـار التـي تنـدب حظهـا مـن زبـون آخـر زمـن الـذي يفاصـل في الأسـعار ولا تعجبـه حـزم الخضـار الذابلـة.

ألقـي بحقائبـه عـلى قارعـة الطريـق واندفـع نحـو الحقـل الصغـير ..

كانـت أمـه تشـد مئزرهـا وتنـثر في الأرض الطاهـرة بعضًـا مـن حبـوب القمـح .. فقـد كان أبـوه قـد أقعـده المـرض وأثقلتـه الديـون .. ألقـي أجــزاءه المتلهفــة في حضنهــما وتنفــس عميقًــا .. دخــل إلى الكــوخ الصغـير .. نبـش الأرض وأخـرج صرة مـن قـماش قديـم .. فـك العقـدة.. واحتضــن النــاي القديــم ...

الوتر السابع

نيران صديقة جدًا

«العدو معروف وإن تبدلت ملامحه»

ضحك حتى انكشفت أسنانه البارزة وكاد أن يسقط سلاحه الميرى المعلق على كتفه الأيمن حينما سمع أخر الأخبار في المذياع الملفوف بألف رباط ضاغط والقابض عليه كأنه وصية أبيه الأخيرة:

مصر توقع اتفاقية الكويز مع أمريكا (واللي ما يتسموش)

ويبدو أن الكلمة قد ذكرته بكوز الماء الفاتر في ليالي الشتاء الباردة، أما الصيف فقد كانت له طقوس خاصة في الترعة التي تمر من أمام منزله ..

أغلق المذياع ووضعه جانبًا حتى يتمكن من أن يدخن سيجارة.. أشعلها كأنما يحرق عدوه .. ضم عليها كأنما يحتضن ولده .. وحشتينى .. رددها وهو يلقى نظرة على صورة أخرجها من جيبه.. كانت أخته .. ابنته .. أمه .. كانت زوجته .. مرت ثلاثة شهور وهو بعيد عنها ..

عادت به ذاكرته للوراء عندما جاءه جواب التجنيد مكتوبًا بالآلة الكاتبة على ورقة قديمة .. سوف تخدم وطنك على حدود سيناء .. لطالما تمنى أن يكمل تعليمه لكن الظروف جعلته يكتفي بشهادة الدبلوم المعلقة على حائط البيت.

صوت طلق ناري يخترق المكان الهادئ إلا من صوت المذياع في

إذاعة صوت العرب من القاهرة .. اندفع صاحبه الواقف كعمود النور في مكان خدمته القريبة .. صرخ بصوته الجهور: «يا ولاد الكلب» .. لم يتماسك نفسه رغم أن تعليمات قائده واضحة .. موش عاوزين غلط .. دول بيسمعوا دبة النملة .. وبيفهموا عربي أحسن منى ومنك.

كان الطلق الناري قد سكن قلب صديقه .. والجارح النازف لا يلتئم مثل كل جروح الوطن .. حاول أن يبعث إشارة في جهازه اللاسلكي القديم المكتوب عليه بالروسية .. فقد كان من زمن الحرب .. حاول لكن أحيانًا تتحد المصائب .. جاءه صوت من خلال اللاسلكي .. «كله تمام يا فندم» .. حاول أن يتدخل في الإشارة.. لكن لا فائدة .. ألقى به على صخرة صلدة فتهشم، بصق عليه .. وحمل صديقه على كتفه وانطلق ..

كانت الشمس حارقة .. والجرح النازف لا يكف كأنه سماء تراكم فيها البرد .. أشار إليه صديقه .. وضعه برفق على الأرض .. كانت الرمال ملتهبة كحضن أم عاد إليها وليدها بعد سنوات من السفر والغياب .. نظر لصاحبه وقال بصوت متقطع: أخبرها.... فاضت الروح لبارئها .. وانحنى صديقه يقبله.

هناك، كانت زوجته تعد الفطائر وطعامه المفضل .. فقد أرسل إليها قبل يومين أنه قادم في أجازة .. كانت فرحتها مضاعفة .. فقد أخبرتها طبيبة الوحدة الصحية في أخر زيارة لها: مبروك ..

أنـتِ حامـل.

وضعـت يدهـا عـلى بطنهـا المثقـل ببضعـة منـه .. كانـت تحلـم بالطفـل منـذ سـنين .. جففـت دمعـة كادت تسـقط وانطلقـت تلعـب بعرائسـها .. فقـد كان زوجهـا يعاملهـا كطفلتـه المدللـة .. وكان يشـترى لهـا الحلـوى كل مسـاء .. وكان قـد وعدهـا في خطابـه الأخـير أن يصطحبهـا معـه إلى مولـد سـيدي «الفقـير» .. فهـي تعشـق أصـوات المنشـدين بذكـر اللـه والنبـي المطهـر وكان يسـتهويها الحـاوي القـادم مـن البنـدر الـذي يمـشى عـلى الهـواء ويخـرج مـن يدهـا منديـل مـن حريـر.

سـمعت صـوت طـرق شـديد عـلى البـاب .. لملمـت عرائسـها وأسرعـت تفتـح .. كان الطـارق عمـدة بلدتهـا وفى يـده ورقـة .. ألقـى عـلى البيت نظـرة كأنمـا يريـد أن يقـول لهـا سر .. تـرك الورقـة في يدهـا ومـضى يـضرب كفًـا بكـف ..

انطلقـت مسرعـة .. حتـى أنهـا نسـيت أن تغلـق بـاب البيـت كعادتها.. ذهبـت تبحـث عمـن يفـك طلاسـم الورقـة، قابلهـا فتـى عائـد مـن مدرسـته عـلى أطـراف القريـة، نظـر إلى الأرض وقـال: البقـاء للـه .. زوجـك شـهيد.

سـقطت عـلى الأرض كأنهـا طائـر صغـير أصابتـه أحجـار صبيـة صغـار يلعبـون .. أمسـكت بحفنـة مـن الـتراب تخضـب بهـا الوجـه والثيـاب الزاهيـة كأزهـار الربيـع .. ضربـت بشـدة عـلى بطنهـا وهـى تحـادث

جنينها الذي لم يتشكل بعد: لا تأتِ .. لم يعدْ للحياة معنى.

جمع قادم من الطريق السريع .. سيارة عسكرية وخلفها مجندون يتمايلون كسيقان الشجر اليابس .. التف رجال القرية حول السيارة.. نزل منها ضابط وعيناه تنظران من خلف نظارته الشمسية: فين زوجة الشهيد؟ .. كانت تعرف هذه الكلمة .. لكنها تعلم أن الحرب انتهت من زمن.

وضع بيدها ظرف مغلق .. وقال: استعدى للعمرة في الشهر الكريم مع أسر الشهداء .. قالت: والتار؟ .. رفع هامته كأنه محمد الفاتح على أطراف القسطنطينية وقال: «خلاص الى ما يتسموش» قدموا اعتذار.

ألقت بالظرف في وجهه .. وانطلقت نحو السيارة .. تدافعت بين صفوف الرجال .. ونحيب النساء الذي يعلو تارة ويخبو تارةً أخرى كأنه الهدوء الذي يسبق كل عاصفة .. تبسمت كأنما تلقى حبيبها العائد .. ووضعت يدها على بطنها .. وقالت: موش عاوز تشوف ابنك؟ واندفعت بجسدها الذي أرهقه الشوق ..

تحتضن النعش الملفوف بعلم مصر ...

***

الوتر الثامن

للموت أحضانٌ دافئة

«تظللنا روح الشهيد وتبارك أيامنا»

توضأ وردد بعض آيات من القرآن ومضى في جوف الليل يتفقد المكان .. كان الفجر قد اقترب والبرد المتراكم في هذا الوقت من العام يجعل السير على الأقدام مهمة شاقة ..

فقد حان موعد أجازته التي انتظرها قرابة الستة شهور .. اقترب من منزله القديم وكان الضوء الخافت القادم من الداخل يعرفه جيدًا .. فقد كان ضوء المصباح الذي تشعله أمه حين تقوم تتوضأ قبل صلاة الفجر.

طرق الباب برفق كعادته .. فتحت الأم الباب وظلت تتفحص ما ظهر من الوجه الملثم بالكوفية والملابس الثقيلة التي تخفى ملابسه العسكرية .. كانت ترتعش وهى تتمتم بكلمة واحدة.. ابني .. احتضنت ابنها .. ورددت: هل أنت بخير؟ أومأ لها في وجل: نعم، صح الجسد وتألمت الروح .. حمدت ربها ونذرت لله صومًا وأن تقوم الليل وأن تطعم خمسين مسكين في يوم الجمعة. ارتمى في حضنها وأجهش يبكى .. أطرقت هي تتحسس أجزاء الجسد المرهق .. واندفعت تقبله وتسأل عن أخباره .. كان يحادثها ويلقى بصره على غرفة أبيه وينتظر أن يخرج .. احتضنته أمه من جديد وانطلقت تشاطره البكاء .. أدرك لحظتها ما تقصده دموع

أمـه .. فانطلـق عـلى غرفـة أبيـه.

كانـت أشـياء أبيـه كـما هـي .. كتابـه المفضـل، الراديـو القديم، سـجادة صلاتـه في موضعهـا وعليهـا مسـبحته العاجيـة مـن بيـت اللـه الحـرام.. والمصحـف المكتـوب بمـاء الذهـب برسـم عثـماني يشـير إلى سـورة الأنفـال .. دخلـت أمـه تخـبره كـم تمنـى أن يـراه قبـل وفاتـه وكـم انتظـره طويـلاً .. وأخبرتـه كـم تمنـت لحظتهـا وجـود ابنهـا الأكبر يشـد عضدهـا ويتلقـى العـزاء في أبيـه ..

أمسـك يدهـا المرتعشـة يقبلهـا وانطلـق يحـكى .. هـو يعلـم أنهـا تـدرك أنـه لم يكـن خـارج الوطـن لكنـه كان مرابطًـا عـلى الحـدود ومفيـش أجـازات .. ينتظـر الأوامـر حتـى يهـب الـروح قبـل الجسـد.

مضـت أيـام قليلـة .. وصـوت سـيارة قـادم مـن خـارج البيـت .. نـزل منهـا بعـض الأفـراد والذيـن كانـت تعلـو وجوههـم الحـيرة مـن تأخره.. التفتـت أمـه تسـتوضح مـا يحـدث فقـد أنسـتها فرحتهـا برجوعـه أن تلمـح أنـه قـد رتـب شـنطة السـفر مـن جديـد .. لمعـت الدمـوع في عينيـه ففاضـت مثـل بركـة مـاء دموعهـا ..

أخبرهـا أن تحتسـبه عنـد اللـه .. يـا أمـي أرواح الشـهداء في حويصـلات طـير خـضر لهـا قناديـل معلقـة بعـرش الرحمـن وأنهـم أحيـاء وإن تمزقـت أشـلاء الجسـد وغيرهـم مـوتى وإن كانـوا في أصـح البـدن ..

أقبـل أصحابـه يسـتعجلونه .. تذكـرت حينـما خطـى أولى خطواتـه .. وكان متحمسًـا فارتطـم في المنضـدة وظـل يبـكى طـوال الليـل .. أهداهـا اللـه إيـاه بعـد سـنين وبعـد أن فقـدت الأمـل وعيرتهـا النسـاء بأنهـا كالشـجرة الميتـة بـلا ولـد، لا تظلـل المـارة ولا تسـمن بعـير .. ثـم أكرمهـا اللـه بـه وبثلاثـة غـيره يرثـون الأرض.

لمـح الابـن عـلى وجههـا ابتسـامة فسـألها عـن السـبب .. أخبرتـه أنهـا تذكـرت حينـما كان صغـيرًا ولا يسـتهويه لبـس الأحزمـة فيمـشى بـين النـاس ممسـكًا بملابسـه كأنـه يقبـض عـلى شـئ ثمـين .. انطلـق يفتـح البـاب فاندفعـت تحتضنـه .. فقـد كانـت تضمـه بـين أحضانهـا كل يـوم حينـما يرجـع مـن المدرسـة حتـى أن أبـوه كان يداعبـه أنـه مـازال صغـيرًا ولـن يكـبر أبـدًا .. انطلـق يقبـل جبـين أمـه ويحثهـا الدعـاء .. رفعـت يديهـا للسـماء: اللهـم تقبلـه عنـدك.

جففـت دمعهـا وأقبلـت تلامسـه قليـلاً كأعمـى يتحسـس مواطـن الفتنـة في بغـى مسـتأجرة .. انطلـق وأصحابـه مسرعـون .. فنظـر إليهـا وهـو يبتعـد ويقبـض عـلى يـد صديقـه .. كانـت تحلـم دومًـا أن تـراه في ثيـاب العـرس وأن يقبـض عـلى يـد عروسـه وأن يهديهـا ابنًـا يشـبهه و يكـون عنيـدًا مثلـه.

مـرت عليهـا الأيـام ثقيلـة كأنهـا صخـور تحتجـز طائـر صغـير .. وكانـت

قـد أخرجـت أشـياءه حينـما كان طفـلاً صغيرًا وتذكـرت حلوتـه المفضلة بنكهـة الفراولـة التـي أتلفـت أسـنانه .. تحسسـت صورتـه بـين أقرانـه وهـو يقبـض عـلى حفنـة مـن تـراب الوطـن .. قطـع خلوتهـا صـوت التلفـاز يعلـن عـن أخبـار عاجلـة:

« انفجار هائل وقع صباح اليوم، وإليكم أسماء الشهداء .... »

فاضـت دموعهـا وانطلقـت تحتضـن ملابسـه التـي تحمـل رائحتـه .. تماسـكت قليـلاً ونهضـت تسـتند عـلى جـدار البيـت ..

فتحت الباب وانطلقت منها زغرودة ...

***

الوتر التاسع
ولد

«في حضرة المحبين،
لا يتسرب الخوف إلى القلوب»

أفزعها منظر المرأة الضخمة التي تتشح بالسواد وتتجول بحرية في أركان البيت .. جذب انتباهها صراخ أمها العالي من حجرتها حتى أن علبة ألوانها سقطت منها ولم تشعر .. غابت المرأة لحظات في مكان تعرفه جيدًا .. فهي تهدأ عندما تدخل هذا المكان وهى جائعة .. خرجت المرأة وبيدها إناء يغلي فيه الماء وتتصاعد منه الأبخرة لتغطى سقف البيت المتساقط دهانه القديم.

دخلت المرأة على حجرة أمها التي لم تتوقف لحظة عن الصراخ.. خافت وانتفضت فقد ظنت أنها طريقة ما للقتل أو التعذيب .. ألقت برسوماتها على الأرض وحاولت أن تتدخل لكنها تراجعت عندما نطقت تلك المرأة بصوتها الغليظ كصوت أبيها: روحي العبي.

فكرت لماذا لا يخرج أبوها من حجرة مكتبه حتى ينقذ أمها المتوجعة ويطرد تلك المرأة الغريبة وما الذي يشد انتباهه في الجريدة حتى أنه يقرأها منذ الصباح الباكر .. دخلت عليه .. جذبت منه الجريدة .. تبسم الأب ورفعها إلى جواره: هيكون ليكى

«أخ».. لم تفهم .. فطوال سنوات عمرها القليلة لم تسمع هذه الكلمة .. تركت له المكان وانسحبت .. انطلقت نحو غرفة الأم تنتظر إجابة أخرى تفهمها.

غفلت عيناها برهة وهى تتكئ على باب الغرفة .. انتفضت من صوت صراخ ينطلق من ذات الغرفة لكنه صراخ جديد يشبه ذلك الصوت الصادر من عروستها اللعبة .. خرجت المرأة تحمل بين يديها لفافة يتدلى منها أصابع صغيرة وردية اللون وانطلقت منها زغرودة مدوية واندفعت نحو حجرة الأب: مبروك .. ولد.

انتهزت هي الفرصة وأسرعت على أمها الملقاة على سريرها ويتصبب عرقها اللامع .. مدت لها يدها .. انطلقت تستكشف ماذا فعلت تلك المرأة .. قبلت أمها كعادتها وتاهت في أحضانها .. عادت المرأة من جديد .. لملمت نفسها وتراجعت قليلاً إلى حافة السرير .. وضعت المرأة اللفافة بين يد الأم الممتدة كأنها تستقبل هطول المطر.

مرت الأيام وذلك الذي يطلقون عليه «أخ» لا يتوقف عن الضجيج ولا تزال الأم ملقاة على سريرها .. وتلك المرأة ما زالت تتجول في البيت .. كانت تعد لها طعامها المفضل ولكن ليس بنفس الطعم الذي تعرفه وكانت تعقد لها ضفائرها بطريقة غريبة .. والأب

العائـد مـن عملـه يتفقـد الوافـد الجديـد ويطبـع قبلـة عـلى جبـين الأم ويسـتقر بغرفـة مكتبـه التـي لا يصـدر منهـا إلا صـوت موسـيقى هادئـة ودخـان سـجائر كثيـف.

اسـتيقظت يومًـا ولا أثـر لتلـك المـرأة في البيـت .. فرحـت ولكـن ظنـت أن أمـرًا جديـدًا قـد حـدث .. دخلـت غرفـة أمهـا .. لم تجـد أحـدًا إلا ذلـك الوافـد الجديـد عـلى سريـره الصغـير .. انطلقـت مسرعـة نحـوه.. فقـد كانـت أول مـرة تـراه عـن قـرب .. كانـت عينـاه مغمضتـين وكفـه الصغـير مضمـوم عـلى بعـض ملابسـه .. مـدت يدهـا تلمـس ذلـك الشـئ الصغـير الـذي يصـدر منـه صـوت .. فتحـت الأم البـاب وصرخـت: ابتعـدي عـن الولـد.

لمـاذا صاحـت أمـي؟ ومـن يكـون هـذا الـذي اسـتحوذ عـلى كل هـذا الاهتـمام؟ تسـاءلت كثيـرًا ولكـن لم تصـل لإجابـة مقنعـة تنهـى الحـرب المشـتعلة بداخلهـا .. دق جـرس البـاب .. فتحـت الأم هـذه المـرة .. يبـدو أن مهمـة المـرأة الغريبـة قـد انتهـت .. دخـل الأب يحمـل عـددًا مـن اللفائـف زاهيـة الألـوان وانطلـق مـع الأم حيـث مقـر الوافـد الجديـد .. وضعـا اللفائـف عـلى سريـره الصغـير .. اندفعـت هـي نحـو أبيهـا عـله يتذكـر ويهديهـا شـيئًا .. تبسـم كأنـه يفهـم مـا تريـد .. لكنـه لم يعطهـا شيء.

طبع قبلة على وجه الوافد الجديد وانطلق .. همت الأم أن تخرج من باب الحجرة فجذبتها معها .. فهمت أنها تخاف أن تتركها بمفردها مع الولد .. فتحت الأم خزانة الألعاب القديمة .. أخرجت منها لعبة يصدر منها صوت عصافير .. أسرعت نحو الوافد الجديد كأنها تزف إليه البشرى بنصر جديد.

قررت لحظتها أن تشد الانتباه بطريقتها المجربة .. ارتفع صوتها بالبكاء .. نظر الأب من غرفته وتوجه نحوها .. ظنت أن خطتها قد نجحت .. لكنه أغلق الباب على نفسه .. خرجت الأم .. تفقدتها فوجدتها بخير .. فانطلقت تعد الطعام .. خفضت صوتها قليلاً .. وتسللت على أطراف أصابعها نحو الغرفة ..

اقتربت أكثر .. كان قد استيقظ .. وبيده لعبتها .. مدت يدها تنتزع ممتلكاتها وتنسحب في هدوء .. سقطت اللعبة من يده الصغيرة فانطلق يبكى أفضل منها .. مدت يدها ورفعت اللعبة .. وضعتها بين يديه ولامست أصابعه التي تشبه المسامير الصغيرة ..

رفع عينيه نحوها وابتسم .. فابتسمت له.

***

الوتر العاشر
تنويعات على الوتر الأول

« الجنون شكل من أشكال السلام الداخلي »

مـضى إلى عملـه ذات صبـاح مبكـرًا كعادتـه ..

نفـس الوجـوه ونفـس الأحـداث كأنـه ميقـات يـوم معلـوم .. كان ينتظـر طوفـان يجتـاح خمولـه ونمطيـة الأشـياء .. شـئ مـا يجعـل الوجـوه العابسـة كأنهـا حـزم أقـمار .. شـئ مـا يحيـل التقاليـد الباليـة أجمـل ابتـكار .. ويحيـل الجـداول الزمنيـة المجهـزة مسـبقًا إلى أحـلى المفاجـآت .. تتشـابه الأشـياء كأنهـا نقـوش عـلى أحجـار صـماء تتقاطـع عنـد نقطـة الرتابـة .. محـال تجاريـة تشـبه بعضهـا .. نهـر مهجـور كأرملـة وبيـوت قديمـة .. كان يشـتهى العشـق والجنـون .. وينتظـر المـدد مـن السـحب البيضـاء عـلى أطـراف الجبـين وثمـار الفراولـة المتناثـرة عـلى أطـراف الشـفاه.

جلـس يواصـل عملـه المعتـاد .. اقتحمـت عليـه خلوتـه فتـاة .. ظـل لحظتهـا سـاعة يتأمـل مـا أبدعـه الـرب .. باقـة ورد تتهـادى وفراشـة هربـت مـن الجنـة وجـاءت تسـعد أهـل الأرض .. همسـت بصوتهـا الـذي يشـبه لاهـوت السـيمفونية التاسـعة لبيتهوفـن .. ألحـان تتدفـق مـن وراء ألحـان .. ووجههـا المـضيء كأنهـا رائعـة مـن روائـع رينـوار .. كانـت قـد اتشـحت ثوبًـا باللـون البنفسـجي وقـد خطـت طـلاء شـفاه

لامـع بلـون الـدم .. أخبرتـه أنهـا زميلتـه الجديـدة وجـاءت تتعـرف عـلى طبيعـة العمـل .. علـت وجهـه ابتسـامة عريضـة وتسـارعت بقلبـه النبضـات.

تلعثـم وقتهـا فـلا يعلـم حقًـا هـل يـشرح لهـا العمـل أم يواصـل تأملـه لتيجـان النـور المصطفـة .. تبـادلا نظـرة متصلـة فتزلزلـت أركانـه .. بـدأت تتكلـم مـن جديـد فـازداد انبهـارًا عـلى انبهـاره .. تداخلـت داخلـه المعـاني والرغبـات .. هـل يبثهـا الهـوى؟ سـتظن أنـه مجنـون فقـد تعارفـا للتـو .. هـل يطلـب رقـم هاتفهـا؟ سـتظن أنـه متطفـل أو إنسـان مريـض لا محالـة .. مـاذا يفعـل حتـى تظـل أمامـه متأمـلاً ومنتظـرًا هطـول المطـر!!

طلـب أن يجلسـا برهـة ليتحادثـا ويتعارفـا .. جلسـت في سـكون وخجل كأنهـا طفلـة في مجالـس الكبـار .. أمـا هـو فقـد انطلـق يحـكى كأفضـل الـرواة .. بـدأ يقـص عليهـا ذكريـات الطفولـة .. عشـقه لحلـوى المولد .. عشـقه للسـفر .. ألوانـه المفضلـة .. أصحـاب الصبـا وبنت الجـيران ذات الضفائـر الغريبـة .. حضـن الأم حـين يعـود مـن مدرسـته.. الرحـلات في حضـن التاريـخ .. صـوت المـدرس الأجـش ينـادى كشـوف الأسـماء .. مقعـده الخشـبي المتهالـك وسـبورة المدرسـة ذات الدهـان القديـم .. لعبتـه المفضلـة وشراب البوظـة المثلـج عـلى أطـراف بلدتـه الصغـيرة في

عـز الحـر .. كانـت هـي تسـتمع في صمـت كأنـه يرسـم لهـا بورتريـه .. أمـا هـو فقـد اسـتمر يحـكى ويحـكى فالفـرص لا تتكـرر كثـيرًا ..

وقـف فجـأة ونظـر في عينيهـا المكتحلتـين .. ظنـت هـي أن شـيئًا قـد حـدث ردد: أحبـك .. تبسـمت فقـد ظنـت أنـه يمـزح رغـم أن ملامحـه الجـادة جعلتهـا تـتردد .. ألجمتهـا المفاجـأة فقـد كانـت أول مـرة تواجـه مجنونًـا طليقًـا .. فكيـف يقـول لهـا هـذه الكلمـة وهـو حتـى لم يعـرف اسـمها بعـد .. هبـت واقفـة وأسرعـت بالخـروج مـن المـكان الـذي يشـبه عنـبر المجانـين .. أسرع يسـتوضح سـبب فزعهـا.

وقبـل أن تنطـق بشـئ .. طـرق البـاب شـخص غريـب وهـمّ بالدخـول.. انطلـق الوافـد الغريـب نحـو الفتـاة وكأنـه يعـرف وجهتـه مسـبقًا.. أسرعـت الفتـاة نحـوه كأنهـا الظـمآن يتحسـس مواضـع المـاء .. اسـتدارت نحـو زميلهـا الـذي تجهـم وجهـه ينتظـر توضيحًـا .. قالـت الفتـاة: نسـيت أعرفـك .. هـذا زوجـي .. وقالـت لزوجهـا: هـذا زميـلي.. نظـرت إليـه وابتسـمت:

صحيح.. هو أنت اسمك إيه؟

***

الوتر الحادي عشر
في ذكرى موت شيء ما

«نحن لا ننسى الألم،
بل نحاول تعويضه بشكل أو بآخر»

ضحكت وقد بدت أسنانها المنتشية كأزهار البنفسج في فصل الربيع .. تراجعت للوراء قليلاً وقد أسدلت عصابة سوداء لتخفى نصف وجهها الأسفل لتظهر عينها المكتحلة كبقعة حبر على صفحة بيضاء أو كعصفور الجنة محلقًا على خلفية من السحب الحبلى كالعهن الأبيض ..

أزاحت قليلاً غطاء وجهها فارتجف حين بدت شفتاها المكتظتان بخلاصة عصائر الدنيا .. كان يعشق نكهة الفراولة ربما لأنها الأقرب شبهًا من وجنتيها أو نزف الشفاه حين تخط أحمرها.

ودارت في رأسه الأفكار عن مخزون العسل المصفى وبقايا الخطيئة الأولى .. وابتسم حين بدأت تردد على مسامعه رقم هاتفه الجوال وكان قد سألها إن كانت تذكره .. رددت الرقم كاملاً وهى تتمايل كأنها أعواد الياسمين تداعبها النسمات المنعشة ويسيل منها قطر الندى لتعلن بداية العهد الجديد.

كانت رسائلهم القصيرة لا تتوقف وكأنها فيض ماء موسمي ولا سد منيع في هذا الزمان .. كان يدعوها زوجته رغم أنهما حتى لم يكونا مرتبطين .. لكنه كان يردد أن الأرواح تزاوجت وأنجبت عشرة

يرثـون الأرض .. فكانـت تحملـه عـلى ألا يتعجـل .. كانـت نمطيـة حتـى في لحظـات الجنـون وكان يجيبهـا:

أنا ألف مرة داعبت روحك في الشتاء البارد .. ألا تذكرين؟ ..

كـم لامسـت كفـك الصغـير وشـفاهك الحـارة .. كـم لامسـت منابـع التكويـن .. كـم غمـرني مـاءك المقـدس وطوقتنـي زهـور اللوتـس في كل حـين ..فاجمعـي شـظايا البلـور وزهـرك المتلهـف وحـاذري حـين تتكلمـين .. سـيدتي وكل مـا أرجـوه مـن الدنيـا .. أهديـكِ القلـب ومـا حـواه .. أنـا الـذي أفنـى العمـر لأجـل ابتسـامة وجنـي الـذي جنـاه .. أنفـاسي وجسـدي يفتقـدون حلـم كنـا قـد حلمنـاه ..

سـيدتي.. اليـوم تنتشريـن كعطـرك أنـا وروحـي قـد افتقدنـاه .. فأنـا كتبـت عـن شـفاهك مـالا يُكتـب ونقشـت اسـمي في كتـب العشـق بحـروفٍ مـن ذهـب.

توقفـت رسـائلها يومًـا مـا فأزعجـه القلـق فبـادر بالاتصـال .. كانـت لا تـرد عـلى الهاتـف فـازداد قلقـه .. أرسـل سـيلاً مـن الرسـائل ولا رد.. مـرت ثـلاث ليـال ثقيلـة كالجبـال .. كئيبـة كليـالي العـزاء في بلدتـه الصغـيرة التـي تعشـق الحـزن .. قاحلـة كموسـم خريـف ولا ربيـع يقـاوم الزحـف المنظـم حـين يتوحـد مروجـو الخـراب.

وبينـما هـو غـارق في الأفـكار وصلتـه رسـالة .. ومـا أن رأى اسـم

المرسل حتى هدأت نفسه قليلاً وتبسم كطفل عاد إليه والده وفي يده لعبته المفضلة وعبوة كبيرة من المثلجات في يوم شديد الحر .. بادر بفتح الرسالة وقراءتها فارتعش حين لمحت عيناه الحروف الأولى لتعلن نهاية العهد الجديد .. تحجرت في عينيه دمعة كعادته حين يستشعر الوحشة وسط جموع الأقربين .. لم يستطع أن يتلفظ بحروف الرسالة لكن عيناه التي طالما عانقت عينيها هي التي بدأت بالانهيار وقرأت في وجل:

«ل و م ا ا ر ت ب ط ن ا ش م و ش ه ي ح ص ل ح ا ج ة ع ا د ى ي ع ن ى»

***

الوتر الثاني عشر
الضيف

«نكذب في أكثر اللحظات حاجة للصدق»

ودعـت صديقاتهـا عـلى أن يلتقـوا في الصبـاح الباكـر قبـل تحيـة العلـم .. ألقـت نظـرة خجلـة عـلى الفتـى الـذي يتبعهـا كل يـوم كأنـه حارسـها الخـاص .. كل يـوم يراقبهـا مـن بعيـد وتراقبـه ولا تفهـم مـاذا بعـد ..

فى ذات يـوم في طريـق عودتهـا مـن المدرسـة هتـف باسـمها .. تلعثمت كيـف عـرف اسـمها !! وكيـف تجـرأ عـلى أن يسـتوقفها هكـذا في منتصـف الطريـق؟

اقـترب بخطواتـه التـي تقـارب بعضهـا وتشـبه الخطـوات الأولى لطفل.. اقـترب أكـثر .. كانـت المـرة الأولى التـي يقـترب فيهـا إلى هـذا الحـد .. لمحـت في وجهـه الطفـولى عرقًـا غزيـرًا كمـن ارتكـب ذنـب .. لم يتلفـظ بحـرف .. ركـز النظـر في عينيهـا السـوداوين وتبسـم .. أخـرج مـن جيبـه ورقـة .. دسَّـها في يدهـا وانطلـق يسـابق الريـح.

خبـأت قصاصـة الـورق بـين دفاترهـا وانطلقـت تلملـم مـا تبعـثر مـن أعضائهـا المرتبكـة .. شـعرت أن كل العيـون تلاحقهـا وأن كل الغربـاء يعرفونهـا .. ألقـت نظـرة خاطفـة عـلى المـارة وواصلـت السـير.

اقتربـت مـن حارتهـا الضيقـة .. لفـت انتباههـا نظـرات صاحـب

الكشك الصغير بمدخل بيتها كأنه يريد أن يخبرها بأمر ما .. فقد كانت تشترى منه كل صباح حلوتها المفضلة بنكهة الفراولة وتكتم ضحكتها من منظر شعره الأشعث ويديه الضخمة.

دقت جرس الباب .. انتظرت طويلاً فلم يفتح أحد .. مرت لحظات وسمعت صوتًا لا تعرفه .. أطلت عليها سيدة ذات ملامح صارمة وترسم ابتسامة تبدو للرائي أنها وعيد .. ترددت كثيرًا أن تدخل ولا صوت لأمها التي لا يتوقف صياحها كل يوم .. تقدمت بحذر تحتضن كتبها وكأنها تحتضن طفلها الرضيع .. اندفعت نحو حجرتها وجال بخاطرها كل الحواديت المرعبة التي كانت ترددها جدتها .. ألقت بالكتب فوق أريكتها وأخرجت الورقة ..

كان الخط رديئًا جدًا حتى أنها تخيلت أنها لغة غير العربية .. حاولت أن تستكشف ولو حرفًا واحدًا من كل الكلمات .. ولكن دون جدوى .. ولكنها تبسمت حينما لمحت رسم لقلب صغير في أعلى الورقة .. أدركت لحظتها كل معاني الكلمات.

دخلت أمها يعلوها ابتسامة عريضة ربما لأول مرة تلمح على وجهها مثل هذه الابتسامة فقد اعتادت أن تراها مكفهرة وتسمعها تلعن الأيام وحظها السيئ .. قالت الأم وهى تلتقط أنفاسها المتقطعة: مبروك يا بنتى .. جالك عريس.

تداخلت لديها الأحاسيس .. واتجهت نحو المرآة .. فكت ضفائرها وتحسست جسدها النحيل كأنها تستكشف جزيرة .. فقد كانت تحلم أن تكون يوما مثل «كولومبوس» وكانت تستهويها رحلات ابن بطوطة وكتابات المسعودي عن بلاد العجائب.

صاح أبوها من داخل حجرة الضيوف: أنتو فين؟ أسرعت الأم تلبى النداء أخبرها وهو يمد إليها عددًا من اللفائف التي أحضرها الضيف .. استعجلي الفتاة .. التقطت منه الأشياء وهى تلهث كأنه يمد لها شربة ماء في صحراء قاحلة .. عادت من جديد لحجرة ابنتها .. اتصلي بصديقتك «العايقة» علشان تساعدك .. أسرعت تمسك بالهاتف .. أخبرت صديقتها وكأنها تستفزها بقطعة حلوى في يدها: أنا جالى عريس !

بالداخل، كانت تخط أحمر الشفاه لأول مرة .. فوالدتها كانت تخبرها دومًا «الحاجات دى عيب» .. وصديقتها من خلفها تارة تمشط شعرها وكأنها تنحت تمثال من رخام وتارة تذهب مسرعة لتختلس نظرة من وراء الباب على ذلك الضيف.

انطلقت الأم تصطحب ابنتها التي كانت تتعثر في ثوبها الفضفاض وصديقتها تتراجع حتى تتوارى خلف الستائر وتغمز بالعين اليسرى وترفع إصبعيها بعلامة النصر .. هكذا كانت شارتهم

حينـما تسـير الأمـور كيفـما شـئن أو عندمـا يحصـدن أعـلي الدرجـات في امتحـان آخـر العـام.

اسـتقبل الأب ابنتـه اسـتقبال الفاتحـين وكأنهـا فرصتـه الأخـيرة في النجـاة .. أجلسـها بجـواره وضـم عـلى يدها:سـلمى عـلى الضيـف .. رفعـت عينيهـا الملتصقتـين بـالأرض ومـدت يدهـا .. تراجعـت خطوتـين للـوراء .. فقـد كان الجالـس في سـن أبيهـا .. دفعهـا أبوهـا مـرة أخـرى.. وتحفـز الضيـف كالجائـع منـذ سـنين .. مـد يـده .. تـرددت كثـيرًا .. وأخـيرًا مـدت لـه يدهـا الصغـيرة .. رمقهـا بنظـرة مـن خلـف زجـاج نظارتـه السـميك .. فارتعـدت .. انطلقـت الأم تهـدأ مـن روعهـا .. أخـرج الضيـف مـن جيبـه علبـة .. ألقاهـا لـلأم .. فانطلقـت منهـا زغـرودة أنهـت هـدوء المـكان .. تصافـح الرجـلان .. احتضنـت الأم ابنتهـا وهمسـت في أذنهـا:

مبروك .. فرحك الخميس الجاى.

***

الوتر الثالث عشر

خريطة

«نغبط أغصان الشجر،
تتطلع للسماء ولا تفارق الجذور»

كادت أن تتراقص في الهواء كأنها فراشة أنعشها الضوء حينما جاءها خبر الاستعداد للرحيل .. كان حلم السفر في كل حركاتها وفى عقلها الباطن .. كانت تخفى عشقها لتقاليد الغرب وإن كان لسانها ولكنتها الغربية يفضحان ما تحاول أن تخفيه .. كانت ترسم للغد ألف خطة وقررت أن تنجب في بلاد الغرب لتمنح لوليدها جنسية أجنبية.

أعدت حفلة خاصة واستضافت كل صديقاتها .. تهامست الفتيات فيما بينهن عن ملامح الحضارة الغربية .. عن الحرية .. عن خطوط الموضة .. كانت تردد دائمًا أنها مثل العصفور السجين وتريد أن تتمرد .. أن ترقص عارية .. أن تتجرد من كل تقاليد القبيلة.

كان والدها مدرسًا للتاريخ .. لطالما ردد على مسامعها قصة الأجداد وتاريخ الوادي .. كانت تشعر بالملل كلما كان يخبرها أن لندن كانت مجرد أكواخ مظلمة على نهر التايمز في حين كانت غرناطة مدينة القصور والنور قبلة الثقافة في العالم.

كان يحاول أن يزرع داخلها أمجاد الحضارة العريقة ويقتلع النبت

الشيطاني للغرب .. بينما كانت أمها التي لا تعمل مشغولة بأشياء أخرى وتندب حظها ليل نهار من غلاء الأسعار والزحام الذي لا يُطاق وعن أمنيتها في بلد جديد يعيد الأمل في غد أفضل.

حادثت خطيبها وتواعدا على ضفاف النيل .. كان يعشق ذاك النهر الخالد ولون الشمس لحظة الغروب .. أخبرته وهى تبتسم: عندي مفاجأة، رد عليها: أكيد مصر تخلصت من عصابة الأوغاد وانتقمت من الهاربين بأموال الشعب وعلقت رؤوس الخائنين في الميادين العامة .. تغير لونها من ذلك الذي ينشغل دومًا بهموم الوطن ولا يرهق نفسه في البحث عن عمل .. أجابته: أنا قررت أسافر .. كان يظن أنها تمزح فقد كان يعلم عشقها للمرح وكان يحب فيها طفولتها الطاغية على جسد المرأة .. لكنها أخبرته أنها جادة وأنهما لا بد أن يستعدا للزفاف قبل موعد السفر ففرصته جيدة للعمل هناك.

كان ينتظر خطاب التعيين منذ سنين وكان يردد دائمًا أن الخير في بلادي وأنه سينتظر ألف عام حتى يسود العدل وينتصر الوطن.. أخبرها أن الوطن ليس حقيبة يأخذها معه في كل سفر .. الوطن هو ذلك الغبار المتراكم وتعشقه الأنوف .. تلك المآذن التي تعانق سكان السماء الأولى .. أصدقاء الصبا .. حلوى العيدين .. بنت

الجيران المراهقة والمتطلعة من شرفتها ليل نهار كأنها تمثال من البرونز .. الوطن هو الدم المتدفق في العروق، يحيا فينا ونحيا به.. يا سيدتي، الوطن ليس فستان يمكن إرجاعه خلال ١٤ يومًا من الشراء.

أخبرها أنه ذاهب إلى جبل «العوينات» وإن كانت ترغب أن تصحبه .. تعجبت كيف يرفض السفر والعيش في بلاد الحرية التي تفعل فيها المرأة ما تشاء .. أخبرها عن حلمه في جعل الرمال حبات قمح وعن بلاد ما بعد التحرير .. عن الحلم الكبير .. عن الورد القادم في ابتسامة البنات .. وعن العسل المصفى المتدفق من الشفاه .. ومن طيات الأرض الطاهرة.

كانت تعلم أن بينهما فوارق كبيرة .. تشغلها الموضة ويشغله التفكير في هموم الوطن .. يشغلها السفر ويشغله الغد في بلاد الشرق .. تبهرها ألوان السيارات وتسحره ألوان طلاء الشفاه الذي تخطه.

أخبرته أنه اختار أن يتركها .. أخبرها الشئ نفسه .. انتزعت دبلته من يدها كأنها تنتزع جمرة من نار .. ألقتها في يده التي تجمدت في عز الحر .. انتزعت أخر ما يربطها بتراب الوطن.

انطلقت لتغادر المكان دون وداع أو نظرة لذلك العاشق الذي

طالما أسمعها أحلى الكلمات وأهداها أجمل الأزهار .. لطالما تمنى أن تشاركه الحلم وأن يحتضن الورد الزاهر في محيط الجسد .. لطالما تمنى أن تمنحه بنتًا تشبهها فيهديها العمر مع الكلمات .. توقفت والتفتت إليه تسأله:

آه صحيح .. هى العويهات دى فين؟

انفرجت شفتاه قليلاً عن ضحكة يكسوها الوجع وألقى نظرة على النهر المتدفق بأحلام الوطن .. وتساءل كيف كان سيرتبط بفتاة لا تعلم شيئًا عن خريطة مصر ..

***

الوتر الرابع عشر
وهز إليك بجذع الحنين

«ليس لنا من الأمر شئ إلا ما اختزناه
وتذكرناه»

عـاد مبكـرًا مـن مدرسـته ذلـك اليـوم، شـعر بوعكـة غريبـة لم تصادفـه أعراضهـا يومًـا مـا .. لم يجـد أحـدًا في المنـزل، نـادي عـلى أمـه كـما اعتـاد أن يناديهـا « يـا أمـه» أو «يـا حاجـة» .. حـاول أن يتكـئ عـلى سـور السـلم المتهالـك وبالـكاد صوتـه يخـرج منـه.

ظـل متماسـكًا إلى أن خـار عـلى الأرض كـما تخـور الجبـال صعقًـا مـن غضـب إلهـي أو كـما تـبرك الإبـل بـركًا في مراقدهـا بعـد رحلـة شـاقة في الصحـراء حـين تخـوى بطونهـا وتـذوب شـحومها.

نظـر بعينيـه إلى أعـلى فبـدت شـقوق السـقف الخشـبي المتهالـك والبراطيـم تـكاد تهـوى عـلى رأسـه .. كان البيـت مـن الطـوب اللـبن الـذي يطلقـون عليـه «الأخـضر أو النيـئ» ربمـا للـون الطـين الـذي فيـه بعـض الاخـضرار أو ربمـا لأنـه لم يـزل نيئًـا ولم يُسّـو في القمائـن بعـد. كانـت أغلـب المنـازل في البلـدة تُبنـى مـن هـذا الطـوب، وكانـت بـلا أعمـدة فيحمـل كل جـدار الآخـر فتسـتند عـلى بعضهـا البعـض وتتداخـل فيـما بينهـا حتـى إذا مـا وهـن حائـط تداعـى لـه الآخـر بالمـؤازرة والتحمـل كأنهـما في ربـاط إلى يـوم الديـن .. ويشـتد البنـاء هكـذا ليصـل في مـرات كثـيرة إلى ثلاثـة طوابـق.

كانـت عمليـة تصنيـع الطـوب حرفـة مميـزة .. حيـث كان الطـوب

يُصنع من الطمي الذي يتم جمعه مما يتراكم على جوانب النيل ويُمزج بالماء ويضاف إليه بعض من روث البهائم والرمال والتبن حتى لا يتشقق .. ثم يتم «دق الطوب» بأن يوضع المزيج في قوالب خشبية والتي تترك بعد ذلك في الشمس لتجف .. وكان يُوكل في الغالب بهذه المهمة إلى أحد الرجال الذين يمتازون بالجلد والصبر، إلى جانب القوة البدنية بالطبع.

كان هذا الرجل يُرى متحفزًا وهو جالس وقد أدخل طرف جلبابه في سرواله الأبيض الذي اكتسى بالطين فما عاد أبيض .. ثم يُحرق بعدها الطوب في قمائن ترص كالمصاطب بشكل مستطيل في صفوف فوق بعضها البعض .. وهذا الرص يحتاج إلى خبرة طويلة إذ أن للطوب وضعًا معينًا فوق بعضه البعض وأي اختلال قد يؤدي إلى سقوطه وتلفه.

كانت المصاطب بعد أن يكتمل رصها تكسى بطبقة من ملاط الطين .. وفي أسفلها يتم عمل فوهات تشبه القبوات والتي كان يتم حشوها بالأخشاب والفروع وحطب القطن لاستخدامها في حرق الطوب وترش بالمازوت ويتم إشعال النيران فيها من الليل حتى الصباح .. ثم يتم إحكام غلق الفوهات بالحجارة حتى لا تخرج النار للخارج فتخمد حرارتها وكذلك حتى لا تؤذى أحدًا .. فترتفع ألسنة اللهب تتسلل من صف إلى آخر تحرق ما يلمسها فتصهره فيتماسك الطوب ويصبح صلدًا .. ومن فوق القمائن يتصاعد دخان كثيف يعمى الراكب والقاعد يكتم الأنفاس ويطرد

النامـوس.

كان كل يـوم في طريـق ذهابـه وعودتـه مـن المدرسـة يـرى الدخـان المتصاعـد أو رجـال يحملـون فـوق أكتافهـم قوالـب الطـوب .. كان يذكـره ذلـك بالمصاطـب التـي رآهـا ذات مـرة في الجيـزة وسـقارة ولكنهـا كانـت مـن أحجـار صلـدة فيتعجـب مـن الفـرق بـين المـاضي والحـاضر وتفـاوت البنـاء .. ثـم لا يلبـث أن يكمـل طريقـه إلى المدرسـة.مرت لحظـات طويلـة ولم تظهـر أمـه فقـرر أن يسـتند إلى حائـط البيـت حتـى يصـل لخـارج البيـت لعلهـا في زيـارة لأحـد الجـيران .. كان بيتهـم أحـد خمسـة بيـوت لا يفصـل بينهـا شـئ ويغلـق عليهـا جميعًـا بـاب ضخـم فيـما يشـبه البوابـة. هـذا البـاب لـه قصـة عجيبـة .. حيـث يحـكى أنـه أحـد غنائـم الصراعـات مـع إحـدى القـرى المجـاورة.. ففـي إحـدى ليـالي الشـتاء القارصـة وفى غفلـة مـن عيـون أهـالي القريـة المجـاورة وبعـد أن خمـدت النـيران التـي كانـوا يسـتجيرون بهـا وأشـعلوها في خشـب السـنط .. وكان أن غلـب النعـاس أكثرهـم فانسـحبوا مـن نوبـات الحراسـة يلتمسـون بعـض الـدفء في داخـل الـدار .. وسـحب بعضهـم عليـه بعـض الأغطيـة الصوفيـة ليغفـو قليـلا.. فالجـو شـبه هـادئ لا يقطعـه سـوى عـواء الذئـاب القـادم مـن جهـة الجبـل في الـبر الغـربي مـن النيـل.

هجـم بعـض أفـراد مـن عائلتـه عـلى الأشـخاص النائمـين في العـراء .. قيدوهـم في فراشـهم .. شـعر مـن بداخـل الـدار بضجيـج في الخـارج وصـوت تأوهـات كمـن لدغتـه عقـرب سـوداء .. انتبـه بعـض الأفـراد

واستل سلاحه الآلي من طرف إحدى «الدكك» كتلك التي تملأ ساحة مندرة عائلته وبدأ في إطلاق الأعيرة النارية بشكل عشوائي.. احتمى الأفراد بالخارج بزراعات القصب التي تنتشر في المكان، لكنها لا تستر ولا تقي شر الأعيرة .. زحف أحدهم على الأرض ملتفًا حول البيت وتسلق جدرانه وتسلل من نافذة مشرعة وفى حركة مباغتة شل حركة من يمسك بالسلاح.

وقبل أن تفيق القرية كلها كان لابد من العودة، ولكن لا يكفى تجريدهم من أسلحتهم ولا تركهم مقيدين في العراء حتى الصباح.. قفزت إلى ذهن أحدهم فكرة أن يقوموا بخلع ذلك الباب الضخم المرصع بكرات بارزة صغيرة من الحديد والبرونز كأنه درع .. التف حول الباب أربعة .. اثنان من الخلف واثنان من الأمام وفى نفس اللحظة رفعوه لأعلى فخلعوه من مفصلاته المعدنية المثبتة بالأرض .. كان الباب من خشب السنط ثقيل كالهم، فقرروا أن يحملوه فوق ظهر أحد الخيول التي سمعوا صهيلها في المكان .. فك أحدهم قيد الفرس ووضع جوال من تبن فوق ظهره ورفعوا الباب ووسدوه ظهر الفرس وأسرعوا بالذهاب .. كان الفجر يوشك أن يبزغ حين وصلوا مشارف البلدة .. استقبلتهم النساء بالزغاريد كأنهم أعادوا فتح الأندلس .. قرروا أن يقيموا هذا الباب في مدخل الممر الذي يحوى بيوت العائلة .. وظل قائمًا في مكانه حتى الآن شاهدًا على تلك الواقعة.

في الممر الضيق وقف وصاح مرة أخرى، فلم يجبه غير الصدى..

قـرر أن يطـرق بـاب البيـت المقابـل ويسـأل .. طـرق مـرة .. اثنتـين، ثـم فُتـح البـاب عـلى مصراعيـه إلا قليـلاً وبادرتـه بالترحـاب سـيدة في أواخـر السـبعين تلتـف في ملابسـها السـوداء كأنهـا قطعـة مـن الليـل المظلـم في ليلـة غـير مقمـرة .. كانـت الحاجـة «كحلـة» كـما تشـتهر بين النـاس ربمـا لسـمرة بشرتهـا الشـديدة أو لأنهـا لم تُـرى أبـدًا مـن غـير كحـل .. مـدت يدهـا تتفحـص ملامحـه ففـزع منهـا فبادرتـه بالسـؤال:

- أنت محمد صح؟
- لا يا حاجة.
- أومال مين؟

تمتمـت ببعـض كلـمات غـير مفهومـة ثـم اسـتطردت: سـامحني يـا ابنـي ضعـف البـصر ولا أرى مسـافة المترين أمامـي .. وبينـما تتكلـم، راح بـصره يلـف مـا تكشـف لـه مـن فنـاء الـدار فلـم يلمـح أمـه، فقـرر المغـادرة.

كانـت الحاجـة «كحلـة» تقطـن بمفردهـا في ذلـك البيـت المتهالـك الـذي يسـهل تسـلق جدرانـه مـن طفـل صغـير أو بعـض الـكلاب الضالـة .. مـات عنهـا زوجهـا منـذ زمـن بعيـد فـلا نـكاد نذكـر ملامحـه، ولم يرزقهـا اللـه بولـد فظلـت ترعـى أولاد أختهـا الوحيـدة التـي مـات عنهـا زوجهـا .. ثـم تزوجـت أختهـا مـن رجـل آخـر وسـافرت معـه إلى بلـدة صغـيرة يقـال لهـا « كفـر الماعـز» مـن أعـمال الدلتـا.

كـبر الولـدان وقـرر أحدهـما السـفر للخليـج للعمـل، أمـا الآخـر فقـد فضـل أن يسـافر إلى بلـدة سـاحلية يجـرب حظـه في أي فرصـة عمـل

متوفر هناك .. وبينما هو يمضى هائمًا على وجهه، ضرب كفًا على كف وتعجب كيف يغيب ذلك عن باله، فمنذ متى يستهوى أمه الجلوس عند الجيران وحكاويهم .. هي بالقطع عند بيت عمه في آخر الشارع .. هرول يجرى كأنما وجد ضالته وكأنه لم يكن متعبًا قبل قليل .. دخل على الفور فلم يكن الباب موصدًا.. قفز السلالم كأنها تجمعت كلها في درجة واحدة، وجد الطابق الأول خاويًا فاجتاز منه إلى الثاني ثم وجد نفسه «على السطح». هناك، كانت تجلس وأمامها مقطف من خوص النخيل ممتلئ لحافته بالدقيق وقد أمسكت بالمنخل تنخل منه في وعاء آخر من البلاستيك فقد كان يوم الخبيز .. هوى إليها كصخرة انحدرت من عل .. نظرت إليه بحنو وأشارت إليه أن ينتظر حتى تفرغ مما هي فيه .. قامت فصبت على يديها بعض الماء من كوز قريب، ثم احتضنته كعادتها .. وضعت يدها على رأسه وقد أفزعها ذلك الصهد المنبعث من جسده ..

فانطلقت تسكب عليه بعض الماء وهو يضحك ...

***

الوتر الخامس عشر
الهلال مع الصليب

«في الحب يتوحد الرب الذي ندين له بالولاء»

كانت تختبئ خلف حائط قديم في تلك الحارة الضيقة المعروفة بحارة «النصارى» .. كانت الحارة ضيقة بشكل لا يسمح بمرور أكثر من شخص واحد في ذات الوقت .. كان أغلب سكان الحارة من النصارى وكانت تكثر حولهم الأقاويل أنهم سبب «أنفلونزا الخنازير» التي انتشرت في البلد بسبب الخنازير التي يقومون بتربيتها سرًا في منازلهم ثم يذبحونها في الأعياد. استوقفته في طريق عودته للمدرسة، هتفت باسمه فارتبك وكادت أن تسقط منه كتبه المدرسية على الأرض .. كان يعرفها وتعرفه .. فقد كان يرسل لها كل صباح باقة من النظرات المتصلة .. وكانت تبادله هي الرد بابتسامة تزلزل أركانه وتجعله فاقد الوعي لا يدرى ما يقوله المدرس الذي يجوب الفصل ذهابًا وإيابًا كأنه مفتش في قطار سكة حديد..

أرسلت إليه مرة عبر فتاة من أقاربه رسالة .. فتح الرسالة فكانت عبارة عن صورتها بالحجم الصغير 6X4 .. كانت مشرقة كشمس الظهيرة .. كانت بملامح شرقية ناضرة ممتلئة بالأنوثة رغم حداثة سنها .. كانت كصفحة ماء متموجة من أثر حجر ألقاه طفل

صغير مر من جوار النهر.

كان أبوها موظفًا في هيئة البريد وكان مرتبه يكاد يكفيهم فاضطرت أمها أن تستغل وقت فراغها في أن تمتهن الخياطة على ماكينة وفرها لها زوجها بالتقسيط بضمان وظيفته .. وأخبرته عن موقف حدث لها مع أحد زملاء المدرسة والذي زارهم في منزلها مع أمه التي كانت تريد تفصيل فستان جديد .. فبينما كانت الأمَّان تتحاوران وتتفقان على المقاسات والموديل وتتناقشان حول السعر راح هو يتسلل إلى الطابق العلوي، شعرت بصوت مبحوح يهتف باسمها .. التفتت بفزع وصرخت بأعلى صوتها ..

في لمح البصر كان قد وصل للطابق السفلى وانطلقت أمها تستبين الأمر .. قال وهو يرتعش أنه كان يبحث عن دورة مياه فانتهى به البحث إلى الطابق العلوي .. انطلقت أمه تهدئ الأمور وراحت هي ترمقه بنظرة أدرك منها أنها تعرف أنه كاذب ..

كانت البلدة هادئة للحد الذي يُعرف معه من غادرها لنصف يوم وإن زارها ضيف غريب .. الأمر الذي تنتشر معه الحكايات كالنار في الهشيم .. فانتشرت تلك الحكاية في المدرسة وظلت محور الحديث لفترات طويلة.

مضى الوقت إلى أن ظهرت قصة جديدة، قصة تلك المدرسة

التي تحت عينيها هالات سوداء والتي فسرها الطلاب على أنها من أثر الفاحشة المتكررة .. كانت البيئة خصبة للروايات، وكان التنافس من يبتكر حكاية أروع من الأخرى.

استوقفته هي لسبب آخر .. فهي لا تريد أن تخبره أنها تفتقده جدًا ولا أن تخبئ في يديه قصاصة ورق منقوش عليها كلمات أغنية «إيهاب توفيق» الجديدة .. بل استوقفته لتشكو إليه، لا وجع البعاد ولا نار الصبابة ولكن ما ألمّ بها من وجع المهانة .. فقد التقت بها إحدى قريباته في المدرسة والتي وصل لمسامعها أنها تطارده وتبعث إليه بصورها .. فعاتبتها بحدة كيف تقتحم حياته وتنتهك عذريته وهو الحالم الذي ليس له تجارب في دهاليز البنات .. طيَّبَ خاطرها بينما علت وجهه ابتسامة غير مفهومة.

مرت السنون وتاه كلٌ في طريقه، فقد التحقت هي بكلية الفنون الجميلة .. فهي من صغرها تهوى الديكور والتصميمات الداخلية والخارجية أيضًا كما كان يظهر في اختياراتها وألوانها .. رن هاتفه ذات صباح .. كانت هي تخبره أنها قادمة في زيارة لمدة يومين في تلك البلدة النائية التي تقع بها جامعته وتتمنى أن تلقاه.. ارتبك وألجمته المفاجأة، فهذه ستكون المرة الأولى التي يلتقيا فيها عن قرب وفى مدينة غير مدينتهم وبعيدًا عمن يعرفونه ويعرفهم..

بعيدًا عن أيقونات السيدة العذراء في الكنائس، وعن وشم الصليب المدقوق على اليد .. بعيدًا عن حلقات الذكر وصلاة الجمعة وآية الكرسي المكتوبة بماء الذهب والمعلقة على جدار البيت.

حددا الموعد والتقيا ثم انطلقا يجوبان وسط المدينة وقد تأبطت يده اليسرى كطفلة مدللة .. طفقا يمشيان دون توقف حتى انتهى بهم الحال إلى بائع جرائد يفترش الرصيف .. لمح ديوان شعر من أعمال «نزار» .. جذبه العنوان «أحبك .. أحبك .. والبقية تأتي» .. مد يده يلتقطه، فمالت معه، تهادت خصلات شعرها المسدل كسيل العرم فاشتم منها رائحة الياسمين ..

همّ بها .. فهمّت به ...

***

الوتر السادس عشر
شارع المحطة

«هناك دومًا متسع من الوقت ..
للذكرى والحنين»

انطلق في عتمة الليل يتحسس طريقة في هذا الشارع المظلم كالقبر والذي تحاذيه الترعة ويوازى شريط السكة الحديد .. يكاد الشارع يخلو من كل شئ إلا سور الجبانة المتهدم والذي تبرز منه زهور الصبار أو أحد الأشخاص يوزع «رحمة ونور» على أطفال «الحلب» المتجمعين حوله في دائرة يصعب اختراقها إلا إذا أعطاهم مما في يديه .. فيسمحوا له ساعتها فقط بالمرور.

كان الأطفال كأنهم موجهين بأوامر مسبقة تتركز في أن يعودوا بأية غنيمة «فلوس أو رحمة ونور» .. فهم يقطنون في المكان منذ سنين ولا يُعرف لهم أصول أو فروع .. يمتهنون تجارة الأقمشة التي يجوبون بها القرى والنجوع .. ففي كل صباح تحمل كل امرأة صرتها فوق رأسها وتنطلق ولا تعود إلا بعد غروب الشمس.. كانت النساء تتولى السعي طيلة النهار بينما ينتظر الرجال الفرج في البيوت حول نيران الشيشة.

رغم ما كان يبدو عليهم من ضيق الحال وخبرة كبيرة في التسول إلا أنه وفى لحظة ما وعندما تُعرض قطعة أرض «كردون مباني» للبيع نجد الشخص منهم يعرض أعلى الأسعار .. فقد كانت رغبتهم ملحة في التوطن والشراء والعيش وسط أهالي البلد فقد

أتعبهم الحل والترحال وكثرة ما أسمعهم الناس من كلامهم العنصري أنهم لا أصل لهم ولا بلد .. فالأرض أرض الله .. رغم أن الكثير من أهل البلد يذكرون أن أصلهم من مدينة «حلب» السورية العريقة.

وكان أن ذاع صيتهم بعد أن خرج منهم «سفاح» .. كان كبقية الرجال يقضى أغلب وقته بالبيت .. وفى ليلة غابرة سمع الجيران صوت شخص يصيح .. فانطلقوا إلى مصدر الصوت .. فخرج عليهم شخص بملابسه الداخلية الرثة وبنيته القصيرة الضخمة وكرشه الذي يتدلى أمامه كالعمل الردى وقد أمسك بيده اليمنى سكين يتقاطر منه الدم، كان قد ذبح زوجته وأطفال الخمسة وهم نائمين .. يقول الجيران أنهم سمعوه قبلها يتشاجر مع زوجته والتي كانت تعيره بأنه لا يعمل ويجلس في البيت زى «الحريم».. فانتظر حتى أنهوأ طعام العشاء وغطوا في النوم .. فذبحهم في هدوء فارتاحوا ولم يرتاح.

لم يُرى هذا الشارع مضيئًا يومًا ما، ولم يكن يُسمع فيه إلا نباح الكلاب الضالة .. كان يمضى وهو يتصبب عرقًا وتجول في ذهنه كل الحكايات المرعبة عن العفاريت والجان .. كانت بلدته عامرة بالإيمان ونقيضه في ذات الوقت .. فتجد حلقات الذكر ومقامات المشايخ وحواديت عن كرامات الأولياء .. ويزكم أنفك دخان الحشيش وتتخبط قدماك في زجاجات «التوسيفان» الفارغة الملقاة

في كل مـكان.

وتسـمع عـن ذلـك العـارف باللـه الـذي روّض تمسـاح هائـج خـرج وقـت فيضـان النيـل وكيـف امتطـاه كأنـه جـواد عـربي أصيـل .. وكيـف كان يسـير طواعيـة يمينًـا ويسـارً بإشـارة مـن يـد الشـيخ. ثـم ثبتـوا أطـراف التمسـاح بالمسـامير الحديديـة وعلقـوه إلى حائـط السـاحة الرئيسـية حيـث يعقـد الشـيخ دروسـه وحلقـات الذكـر في ليـال الجمعـة.. صلبـوه ثلاثـة أيـام يمـر بـه النـاس غـدوًا وعشـيًا تعلـو وجوههـم الدهشـة مـن قـدرات الشـيخ، حتـى أشـار عليهـم الشـيخ أن ينزلـوه ويدفنـوه بجانـب النهـر .. تحلـل جسـد التمسـاح وبقـت سـيرة الشـيخ !..

أو ينتهـي إلى مسـامعك حكايـة ذلـك «البهلـول» الـذي تظهـر كراماتـه حـين يناديـك باسـمك رغـم أنـه لا يعرفـك ويـراك للمـرة الأولى .. كان مجـذوب يجـوب الشـوارع بثيابـه الرثـة وقـد أمسـك بعصـاه التـي يتـوكأ عليهـا ويهـش بهـا عـلى الأطفـال الذيـن يتبعونـه ويصيحـون « الأهبـل أهـو» .. فبعـد موتـه رأى النـاس أن يدفنـوه في موضعـه وأن يدفنـوا معـه جلبابـه وعصـاه التـي كانـت لا تفارقـه أبـدًا.. وذات يـوم أقسـم ثلاثـون شـخص أنهـم رأوا عصـاه التـي سـبق أن دفنوهـا معـه وكأنهـا حيـة تسـعى فـوق قـبره ولمحـوا بعضًـا مـن جريـد النخيـل الأخـضر فهتفـوا في نفـس واحـد «الشـيخ بـيّن عـلى جريـدة خـضرا».. فقـرروا سـاعتها أن يُقيمـوا فـوق القـبر مقـام وعلقـوا يافطـة عريضـة

«ضريح العارف بالله .. الشيخ بهلول».

وابتسم حين تذكر ذلك الخبر الذي قرأه مرة في إحدى الصحف عن الضريح الذي أزالته المحافظة لعمل توسعة في الطريق العمومي .. وهاج وماج الناس وأبدوا سخطهم واعتراضهم على المساس بمقام الشيخ .. وبعد مداولات عدة وافق الأهالي على مضض وذلك بعد أن تعهد المحافظ شخصيًا أن يُنقل رفات الشيخ لمقام أكبر على نفقة المحافظة ويقام له مولد في أكبر ساحات المحافظة.

وكانت المفاجأة الكبرى عند هدم الضريح وبدؤوا فى نبش القبر واستخراج الرفات، حيث وقف الناس مذهولين حينما رأوا أن العظام التي يستخرجونها على مهل هي عظام «جمل» !!

كانت البلدة عامرة بمقامات الأولياء حتى يُخَيَّل إليك أين ذهب المخطئون والعصاة إن كان بالبلدة كل هؤلاء العارفين! .. كان كل عارف له احتفاله الخاص الذي يواكب ذكرى مولده .. وكان يستمر الاحتفال عشرة أيام متواصلة .. تُنصب فيها الخيام وتُفرش الساحات وتكتظ بالمنشدين والمراجيح وبائعي الحلوى وغيرها .. كانت ساحات الموالد مكان مناسب للنشوة بكل أنواعها على أنغام موسيقى الذكر والإنشاد «عيون القلب».

انتفض فجأة فزعًا لنباح كلب يهرول في اتجاهه .. لم يكن يملك رفاهية الوقت ولا التفكير، «خد هدومه في أسنانه وانطلق يسابق

الريح» .. لم يلتفت إلى الخلف ولم يتوقف برهة ليلتقط أنفاسه إلا وقد وصل إلى باب المحطة.

كاد قلبه أن ينخلع من صدره والعرق المتصبب يشبه فيضان النيل قبل بناء السد .. لمحه أصدقاءه الجالسون على مقاعد أحد المقاهي الذي اتخذ من رصيف المحطة مساحة له فانطلقوا من فورهم ضاحكين .. وبادر أحدهم بالقول: الخضة دى عاوزة زيارة للشيخ وليد .. رد وهو يحاول أن يبدو متماسكًا أمامهم .. مين وليد دا كمان؟ .. رد آخر مازحًا: أنت بجد متعرفش الشيخ وليد؟.. طيب اقعد ارتاح الأول وخد نفسك.

«دا يا سيدي طفل صغير عنده ٩ سنين، بيته أهو قدام المحطة .. في يوم كان معدى المزلقان هو وأبوه وكان أبوه ماسك يده .. وكان المزلقان مقفول علشان القطر خلاص داخل على الرصيف .. وفجأة الولد فلت يده من يد أبوه وجرى .. وقف على شريط القطر لا بيتحرك لقدام ولا بيرجع لورا كأنه اتمسمر في مكانه بمسمارين صلب.. وخلاص القطر داخل وبيزمر بصوت مزعج .. فالولد فجأة لقي نفسه طار في الهوا وارتمى على الأرض .. والغريبة ملقوش فيه ولا أي خدش .. أما كان حتة يوم، كل البلد فضلت تحكى عنه أسبوع .. وأنت ولا كأنك من البلد دى».

بعد هذه الحادثة ذاع صيت الولد وحكت والنساء عنها فيما بينهن في الجنائز أن الجن هو اللي رفعه وأنقذه .. كان العزاء

لـدى النسـاء خمسـة عـشر يومًـا كاملـة .. يتلقـين فيهـا العـزاء وينتحـبن أغلـب الوقـت ويتناوبـن تبـادل صـوانى الغـذاء، وغالـب الوقـت نميمـة وقصـص لا معنـى لهـا .. مـن تزوجـت .. مـن طُلّقـت .. مـن لم تنجـب وداخـت عـلى الدكاتـرة في مـصر .. أمـا العـزاء لـدى الرجـال فقـد كان لثـلاث ليـال يحييهـا المقـرئ وتغلفهـا فناجـين القهـوة ورائحة السـجائر. كان الولـد مـن بعـد مـا أصابـه يومهـا مصفـر الوجـه لا يتكلـم إلا همسًـا ويهـذى بصـوت مبحـوح .. يجلـس أغلـب يومـه عـلى كنبـة معلـق فوقهـا آيـة الكـرسي .. وكانـت تذهـب إليـه النسـاء ليجـدن لديـه وسـيلة لعـلاج الـصرع وفـك الـزوج المربـوط وتعجيـل الحبـل .. كانـت كل امـرأة ممـن لهـا طلـب تدخـل عـلى أمـه أولاً وتـشرح لهـا الحالـة ثـم تدخـل عليـه أمـه وبصحبتهـا السـيدة .. خالتـك فلانـة يـا وليـد بتشـتكى مـن وجـع الـرأس .. خالتـك أم فـلان بتترمـى في الشـارع وهدومهـا كلهـا بتتكشـف قـدام النـاس.

فيمـد يـده إلى رأس السـيدة ويتمتـم بكلـمات ثـم يمسـك طـرف ثوبهـا ويقيسـه بكـف يـده المنبسـطة ويتمتـم بكلـمات غـير مفهومـة .. ثـم يخـرج ورقـة بيضـاء ويرسـم فيهـا دوائـر ومثلثـات ويكتـب في كل فـراغ بعـض الأرقـام والحـروف المقلوبـة .. ثـم يطـوى الورقـة طيـات متداخلـة فـوق بعضهـا لتكـون في النهايـة عـلى شـكل مثلـث سـميك، يشـبك في طرفـه دبـوس ويقـول للسـيدة: علقيـه عـلى صـدرك ناحيـة القلـب.

قاطع حديثهم صوت صاحب المقهى الأجش الذي وجدوه فجأة واقف فوق رؤوسهم: تشربوا إيه يا حضرات؟ أنا هشرب شاي.. وأنا حلبة باللبن وابعت لنا حد بدومينو والنبى.. وأنت يا أستاذ؟.. عندك كاكاو؟ لم يجب في البداية من هول السؤال .. ولكنه أجاب: كاكاو؟ آه فيه كاكاو ..

كان مقهى المحطة هي أنسب مكان يلتقون فيه، يراقبون المسافر والقادم .. فقد كانت بقية باقي المقاهي المنتشرة في وسط البلد تكتظ بفئات خاصة من الناس لا تناسب ثقافتهم .. فذلك يخرج من جيبه حبوب غريبة يبتلعها مع الشاي وآخر يخرج من سيالته لفافة سوليفان ويرص مما تحتويه على حجر معسل.. كانت جلساتهم على ذلك المقهى وسيلتهم للترفيه والضحك .. كانت محاولة لقطع الملل والرتابة في تلك البلدة ومحاولة للانفجار والهروب من المشكلات عن طريق الضحك .. فذلك يحكى عن قصته مع الفتاه التي أعُجب بها خلال دراسته الجامعية وكيف اضطر مرة أن يوصلها لقرب منزلها واستقل تاكسي ظل يسير لمدة تجاوزت الساعتين وكاد يلجمه عرقه وهو يتحسس محفظته ولا يدرى هل ستكفى النقود تكلفة هذا المشوار أم لا ..

وآخر يحكى عن خلافاته مع أبيه وكيف لا يجدون نقطة للاجتماع على رأى واحد .. وكيف يختلفون حتى على ألوان الملابس التي سيشتريها للعام الدراسي الجديد .. وآخر يسرح وهو يحكى عن

مغامراتـه في القـرى والنجـوع لحشـد التأييـد لمرشـح انتخـابي في انتخابـات مجلـس الشـعب لمجـرد أنـه تجمعـه بـه صلـة قرابـة بينـما يـراه غـير مؤهـل لهـذا المنصـب فهـو لم يذهـب لمـدارس ولا بيعـرف يفـك الخـط.

كان المقهـى ملتقـى الأحاديـث والأحـلام .. يمـر قطـار مخلفًـا وراءه عاصفـة مـن الغبـار والأتربـة .. يقـف قطـار درجـة ثالثة فتنطلـق بائعة الشـاي تحمـل بـراد ضخـم وأكـواب بلاسـتيكية تجـوب بـه عربـات القطـار التسـعة في لحظـات وجيـزة .. تمـر قطـارات دون توقـف .. تتعطـل قطـارات أخـرى .. ينـزل أنـاس بحقائـب وأجولـة وأقفـاص .. ينـزل مجنـدون في الجيـش .. باعـة صحـف .. باعـة جائلون.. شـحاذون.. ويظلـوا هـم جالسـين في مقهاهـم ليـل نهـار ..

مسافرون دون حقائب ...

***

الوتر السابع عشر
مقعد قرب النافذة

«أبحث عن المعنى الذي لولاه
ما كان للأشياء معنى»

كانت الساعة تشير إلى التاسعة مساءً

عندما وصل القطار أخيرًا إلى محطة «الجيزة» .. توقف القطار بعد ساعات طويلة بدت كأنها لن تنتهي وسط ضجيج الأطفال الرضع الذي لا ينقطع .. وصوت موسيقى صاخبة يتخلله أصوات منشدين بالذكر المطهر .. وركاب يجرون حقائبهم دون هدى ما بين المقاعد ويتخبطون فيها وفى الجالسين على مقاعدهم التي تكاد أن تنخلع من قواعدها .. ورائحة البيض المسلوق التي تنتشر في العربة كأن اليوم هو عيد الربيع .. وحفنة من قشر «اللب السوري» مبعثرة أسفل المقاعد.

كان في سفره يحرص على أن يختار مقعد بجوار النافذة .. فيظل يتأمل الطريق ويحصى أعمدة الإنارة طول الطريق فيقصر عليه ذلك طول السفر .. ولا يدع مجال لحوارات مع الجالسين بجواره وتحقيقاتهم المعهودة .. أنت منين؟.. مسافر فين؟ .. بتشتغل إيه؟.. ومن عائلة مين؟ .. دا أنا أعرف فلان قريبك! .. أو تلك اللحظة عندما يبادر أحدهم ويدعوه ليشاطره الغداء ويضطر أن يقسم له ألف مرة أنه لا يأكل أثناء السفر.

ولا يقطع التأمل غير رائحة الدخان الذي يتسرب من بين العربات يخالطها رائحة كريهة كأنها خمر معتقة .. وتعتبر محاولة دخول الحمام في القطار مهمة مستحيلة .. فلا ينسى الناس حكاية السيدة التي اضطرت أن تدخل ذات مرة حمام أحد القطارات فسقطت بها أرضيته وتبعثرت أشلاءها على شريط السكة الحديد وتركت ابنها وراءها يكاد ينفطر قلبه من البكاء .. والقطار مسرع دون توقف كأن شيئًا لم يحدث والناس من هول الموقف في حيرة وعاجزون عن التصرف .. ومع توقف القطار في أول محطة سلموا الولد لنقطة الشرطة بالمحطة ثم أكملوا الرحلة.

كانت المحطة على الطراز الفرعوني الجميل وباعة الصحف يفترشون الرصيف بباقة متنوعة من المجلات زاهية الألوان ((مجلة الشباب .. آخر ساعة .. نصف الدنيا)) .. كان أغلب الركاب قد أنزلوا حقائبهم وما حملوه من خيرات الصعيد ((فايش .. كشك.. أعواد قصب السكر .. بلاص عسل أسود .. عيش شمسي)).. ورغم وجود نفق للمشاة إلا أن الحل المختصر للوقت كان القفز على القضبان ثم حمل الأمتعة على الأكتاف وعبور شريط السكة للرصيف المقابل في ثوان معدودة .. أما خارج المحطة فتقف سيارات الأجرة الصدئة التي يتفحص سائقوها وجوه الركاب

لاصطياد زبون مناسب لا يهوى الفصال ويكون مشواره بعيد. كانت المرة الأولى التي تطأ فيها أقدامه «القاهرة الكبرى» فقد جاءته بطاقة الترشيح تفيد قبوله بإحدى كليات القمة .. انطلق يجر أمتعته التي كانت تتخبط فيها أقدامه ويحاول أن يتلمس الهدى في الطريق.

في الشارع، شاهد الزحام الشديد وأبواق السيارات التي تسبب الصمم والصرع .. مناظر أناس غريبة .. شحاذون بطرق عصرية.. مريض يفترش الأرض وبيده أوراق ممزقة وتتدلى منه «قسطرة طبية»!.. بائعو الكتب الإسلامية وسجاد الصلاة والسبح الكهرمان أمام مسجد الاستقامة .. بائعو الكشري والحواوشى العجيب .. وفاترينة زجاجية يظهر منها دجاج مشوي وكأنها آلة تعذيب .. وكل ذلك يخالطه التراب وعوادم السيارات.

وصل أخيرًا إلى العنوان المدون على ورقة صغيرة ممزقة بللها العرق المتراكم على يده .. كان العنوان يشير لعمارة من طابقين غير مكتملة البناء .. صعد إلى الطابق الأول .. طرق الباب الخشبي المغطى بطبقات من التراب الكثيف فلم يكن هناك جرس .. أزكمت أنفه رائحة التراب .. فتح الباب شخص ضخم بملابسه الداخلية وقد ألقى فوق كتفه «فوطة» ولون بشرته بدا أقرب

للـون الـوردي منـه إلى لـون البـشر العاديـين! وبـادره بالسـؤال: مـين حضرتـك؟ .. فجاوبـه عـلى الفـور: أنـا السـاكن الجديـد .. أشـار إليـه .. تفضـل.

كان بالداخـل ثلاثـة أشـخاص .. اثنـان منهـم قـد جلسـوا عـلى أريكـة تـكاد تلاصـق الأرض، والثالـث كان يتصفـح مجموعـة مـن الأوراق عـلى مكتـب في أقـصى الصالـة .. بعـد التعـارف السريـع، اصطحبـه أحدهـم ليشـاهد غرفتـه التـي سـيقيم فيهـا.

ألقـى الحقائـب التـي علـق بهـا نصـف طـين الشـارع ثـم ألقـى جسـده المرهـق عـلى السريـر وراح في سـبات عميـق .. في الصبـاح كانـوا جميعًـا مسـتيقظين، وأحدهـم قـد بـدا وكأنـه يـؤدى مشـهد مسرحـي، حيـث كان يصيـح ويـداه ترتفعـان وتنخفضـان في مشـهد مضحـك .. علـم بعدهـا أنـه مـدرس أول لغـة عربيـة ويهـوى التمثيـل ولذلـك يعمـل كومبـارس في إحـدى الفـرق المسرحيـة .. كان يحلـم دومًـا بالبطولـة على خشـبة المـسرح وفى الحـب أيضًـا حتـى أنـه صرح بحبـه لفنانـة كبـيرة تشـاركه أحـد العـروض والتـي مـا كان منهـا إلا أن هددتـه بالحبـس.

اسـتعد للذهـاب إلى الجامعـة، اسـتقل تاكـسي إلى هنـاك لحين اكتسـابه الخـبرة في اسـتقلال سـيارات الأجـرة والأوتوبيسـات .. كان منظـر الجامعـة في الصبـاح كفتـاة عـذراء أتمـت غسـلها وتركـت شـعرها

المبلل يتدلى على ظهرها .. مباني تراثية .. أكشاك بيع كتب .. كافيتريات .. أشجار منمقة .. مقاعد مكتظة بالبنات والبنين.

سأل أحد الطلاب عن كليته فأشار إليه يمينًا ويسارًا.. وصل إلى هناك فوجد جمع غفير من الطلاب يتمايلون ويضحكون كأنه يوم عيد .. ملابس زاهية .. ماكياج .. شعور مرسلة .. خمار ونقاب. وبدت وسط هذا الصخب فتاة مبتسمة ابتسامة يشوبها الشجن.. اقترب منها دون وعى .. عرفها بنفسه .. عرفته بنفسها .. انطلقا سويًا بعيد عن الحشد المتجمع .. لم يجد كلامًا وقد ألجمه العرق فقد كانت المرة الأولى التي يتكلم فيها مع فتاة بهذا القرب.. كان وجهها مضيء وأشبه بسماء تتدلى منها الثريا .. وعينها المكتحلة تذكره بصفحة النهر في ليال لا قمر فيها .. وفمها المنفرج عن ابتسامة لامعة تشبه حد السيف .. وجسدها الممشوق كأنه تمثال رخامي من أعمال الإغريق.

تركها دون أن ينطق بحرف ومضى .. تسمرت هي في مكانها ولم تفهم. ظنت للحظات أنه شيطان أو مجنون .. ظل يمشى إلى أن وصل للباب الرئيسي للجامعة .. كانت يافطة الأوتوبيس تشير إلى خط سير «السيدة زينب» .. استقله دون تفكير وفى أقرب مقعد شاغر جلس وأسند رأسه إلى حرف المقعد وأغمض عينيه .. وصل

الأوتوبيس إلى محطة السيدة، وصاح الكمسري منبهًا الركاب: السيدة.. يلا السيدة اللي نازل .. همّ بالنزول وما أن لمح مئذنة المسجد واقترب من الباب الرئيسي المتجمع عنده مئات الشحاذون يزحفون على الأرض ويمُدّون أيديهم .. حتى صاح بأعلى صوته:

مدد يا بنت بنت النبي مدد ...

***

الوتر الثامن عشر
تنفس اصطناعي

«سأظل أنتظر النهار الذي لا يجئ»

يـكاد السـفر يكـون مقـررًا عليـه حينـما أخـبروه في العمـل أنـه يجـب أن يسـتعد لمهمـة جديـدة خـلال شـهر مـن الآن.. ورغـم أن حقيبتـه كانـت دومًـا جاهـزة ويجـد في السـفر متعـة ولـذة كالـذي يتـذوق حبـات كريـز بـاردة في صيـف أغسـطس .. إلا أن السـفر كان بالنسـبة لـه غربـة ووجـع ..

رجـع إلى منزلـه مبكـرًا ذلـك اليـوم .. جمـع مـا طالتـه يـداه مـن ملابـس وأغـراض شـخصية .. كان لديـه متسـع مـن الوقـت لكنـه آثـر أن يغـادر مسرعًـا ليتجنـب مراسـم الـوداع وتبعاتـه في النفـس.

وصـل إلى المطـار القديـم .. كانـت الشاشـة تشـير إلى تأخـير بسـيط في موعـد رحلتـه .. لم يتعجـب فتلـك الأمـور واردة الحـدوث .. فقـد اكتسـب خـبرة كبـيرة في موعـد الرحـلات ولديـه إحصائيـة عـن معـدلات الحـوادث وتأخـر الرحـلات وضيـاع بعـض الحقائـب بعـد كل رحلـة والإجـراءات المتبعـة مـع شركات الطـيران الأجنبيـة وفى حالـة مـا إذا كانـت خطـوط الطـيران وطنيـة .. أنهـى إجـراءات الـوزن الزائـد وأعطـى الشـاي «البقشـيش» لمـن يدفعـون عربـة الحقائـب لمسـافة لا تجـاوز المتريـن.

في تفتيش الجوازات كان يتوقع دومًا وجود تأخير لا لشئ إلا لمحاولاته أن يجد قلم يملأ به بطاقة السفر الخضراء التي تحوى بياناته وتفاصيل الرحلة رغم أنه سيُظهر لضابط الجوازات جواز سفره والتذكرة .. ويدور الحوار المكرر:

الضابط: مسافر فين؟

- مكتوب في التذكرة.

الضابط: أيوة بردو مسافر فين؟

- ...

الضابط: سبب السفر؟

- زيارة عمل.

وبعد انتهاء جولة المداولات وعرضه على جهاز كشف الكذب يستعد لجولة أخرى داخل الطائرة .. وجبات غير ساخنة .. مضيفة تبدو منشغلة ولا ترد .. راكب يصر أن يجلس في غير مقعده لمجرد أنه بجوار النافذة .. الجميع ينهضون في نفس الوقت بمجرد هبوط الطائرة وحتى قبل أن يُفتح الباب وكأنهم في سباق.

وصلت الطائرة واستلم حقائبه وبدت النسائم تهب .. كان الجو شتاء والثلج المتساقط يختلط برائحة شجر الأرز فيضفى على الأجواء متعة تشبه متعة الهواء الطلق لمن قضى عقوبة

في السجن .. خرج يجر عربة الحقائب في اتجاه الخروج، وقف برهة يتلفت فلمح شخص واقف ويحمل في يده ورقة مدون فيها اسمه .. صافح الرجل ومضيا في اتجاه الخروج بعد أن أصر أن يدفع عربة الحقائب بنفسه دون مساعدة.

وضع الرجل الحقائب في شنطة السيارة وفتح له الباب .. في الكنبة الخلفية للسيارة كانت تجلس سيدة في مقتبل العمر، ألقى عليها التحية وعرفها بنفسه، عرفته بنفسها وأنها سترافقه طوال فترة وجوده بالبلد .. جلس بجوارها فارتبك لوهلة عندما اشتم منها رائحة مميزة تشبه مزيج من خلاصة أزهار الياسمين والبنفسج.. كانت قد أسدلت شعرها بلونه الذهبي ويداها تقبض على هاتفها المحمول وبضع وريقات .. بدأ يتحرك كمن أتعبته رحلة سفر استمرت لساعات طويلة، حتى بادئته هي بالكلام:

- أهلا بيك نورت بلدنا.

كانت لكنتها عربية ركيكة فتعجب وقد ظنها ستنطق بلغة أجنبية .. لاحظت الدهشة التي فشل في إخفاءها، فاسترسلت في حديثها وعن أصولها العربية ووالدها الذي كان حريصًا كل الحرص على أن تتعلم اللغة العربية.

وصلا للفندق الذي سيقيم فيه .. تواعدا أن يلتقيا بعد ساعتين

لتصطحبه لمقر الشركة حتى يتمكن أن يأخذ قسطًا من الراحة ويرتب أموره .. صعد لغرفته، ألقى بالحقائب في ركن الغرفة .. هبط مسرعًا على قدميه من الطابق الرابع للفندق ولم ينتظر المصعد .. لم تكن قد غادرت الفندق بعد .. هتف باسمها فالتفتت ناحيته وقد ظنت أن أمرًا ما قد حدث.

- ممكن ثواني.
- أتفضل .. حصل شئ؟
- ممكن نخرج لفنجان قهوة قبل موعد الشركة؟
- ما في مشكلة.

أشارت إلى يمين الفندق حيث المقهى المعروف بقهوته التركية .. جلسا في الخارج وكان ثلج خفيف يشبه زغب القطن ما يزال يتساقط .. علقت حقيبتها بيد المقعد وانطلقت تنادى على الجرسون .. بادرها بالسؤال:

- هل تؤمنين بالحب من أول نظرة؟

قهقهت بصوت عال مما دفع رواد المقهى الجالسون يلتفتون لطاولتهم.

- أتريد الصدق؟ .. كالسكران راح يصغى لما تقول ..
- أنا أؤمن بالحب من أول موقف .. بالحب الذي يغير

.. بالحب الذي هو في حد ذاته مأساة حقيقية، أما النظرات والهمسات فهي مجرد توابع تأتي على مهل أو على عجل. فحين تعشق الروح بالقطع سيشاركها الجسد المنافسة في التعبير عن ذلك للطرف الأخر.

أوشك أن يقبض على يدها البضة التي بدت وكأنها بعض أشغال من خشب الزان تم الانتهاء من صقلها قبل لحظات قليلة .. كانت قد برزت فيها بعض شعيرات ذهبية كانت تلمع مع خيوط الشمس التي تسللت ما بين الثلوج.

أفزعها تصرفه فهبت تسحب يدها كمن لدغتها عقرب سوداء وبادرت بالمغادرة .. وقف يمنعها ونظر إليها عن قرب، فقد كانت عيناها واسعتين كبراح ساحات المعارك .. مضيئة ككسر مرايا تعكس الضوء .. وقد برزت أسنانها الأمامية كأسنان قطة وديعة .. لم تكن تضع طلاء شفاه فبدت شفتاها بلونهما الطبيعي كالجرح النازف.

خار من فوره على الأرض كبناية شاهقة متهالكة وقت الزلزال .. فزعت وانطلقت نحوه كطائر يتهادى على وجل ليتلقط بعض حبوب القمح في أحد الميادين الأوروبية .. هبطت عليه تجس نبضه .. ضغطت بيديها على قفصه الصدري وألصقت شفتيها

المنتفختين بشفتيه وقد شابتهما زرقة خفيفة ثم بدأت تجرى له تنفس اصطناعي .. صاحت أكثر من مرة: حد يتصل بالإسعاف .. بدأ يتحرك ..

ركز النظر في عينيها المتدفقتين كنهرٍ دمشقي ولم يفقْ ...

***

الوتر التاسع عشر
بيت في النيل

«وأنكب على نفسي ..

على روحي التي تأبى الصدأ »

وقف على حافة قاربه الخشبي المتهالك متحفزًا، وبكل ما أتاه الله من قوة ضرب بعصاه المصنوعة من الخيزران صفحة الماء .. وبالخلف كانت زوجته تمسك أطراف الشباك الثقيلة وتحاول أن تسحبها باتجاه القارب .. همّ يساعدها بعد أن أنهى مهمته والتي سبقها تجهيزات وإعداد للطعم المناسب ونوع الغزل أو الحرير الملائم لحجم ووزن الأسماك، وبالطبع اختيار التوقيت المناسب والذي يكون عادة وقت الغروب حيث تبدأ الأسماك بالطفو بالقرب من السطح.

التحمت أيديهم في لحظة جمع الصيد .. كانت الشباك لا تخرج إلا أعدادًا قليلة وتبدو فيها الأسماك مستسلمة لمصيرها أو تحاول الفرار من الماء الذي تسبح فيه حتى ولو كانت النتيجة نهايتها.. فقد تغيرت بيئة النيل خاصة في محيط البواخر النيلية والمطاعم العائمة وما ينتج عن صرفها من ماء ملوث ومخلفات وزيوت تتسرب من محركاتها إلى مياه النيل .. ومن يعش من هذه الأسماك تختزن أجسادها كميات هائلة من العناصر الثقيلة المميتة.

أفرغا الأسماك من الشباك ووضعوها في قفة من الخوص سبق أن بللوها بالمياه ثم بدءوا التجديف باتجاه الضفة الجنوبية للنيل.. حمل الرجل القفة على ظهره ومضى في اتجاه السوق .. جلس ساعة .. ساعتين .. نصف نهار .. إلى أن انتهى من بيع الأسماك .. وضع ثمنها البخس في جيبه ومضى عائدًا في اتجاه القارب.

كانت زوجته قد غلبها النعاس قليلاً مع بدء هبوب نسمات هواء عليلة بللتها قطرات الماء .. تكشفت لها فجأة حوائط أربعة يتدلى من سقفها مصابيح كهربائية .. وبالداخل غرفتان، إحداهما يتوسطها سرير خشبي ضخم من خلفه شباك عريض تغطيه ستارة كبيرة من القماش القطيفة الثقيل .. أما الغرفة المقابلة فكانت خاوية إلا من بلاطات متعددة الألوان مثبتة بالأرض بشكل عشوائي كقطع الفسيفساء .. انتبهت فجأة حين وجدت زوجها فوق رأسها يحاول أن يزيح الحجر الضخم الذي يطبق علي حبل القارب .. سألها بسكون وجلد اعتادت عليهما: هل أعددتِ طعام الغداء؟ .. أومأت إليه بإشارة خفيفة: في لحظات سيكون كل شئ جاهز.

كانت تفترش نصف القارب بملابسها الزاهية التي تشبه حلوى الأطفال .. مدت يدها أسفل الحاجز الخشبي الذي يغطى طرف

القـارب ويشـبه المخـزن .. سـحبت عـلى مهـل قفـة ممتلئـة بأكيـاس بلاسـتيكية، اختـارت كيـس أبيـض اللـون معقود طرفـه .. حلـت العقدة وأخرجـت بضـع قطـع مـن الخبـز الناشـف المرصـع بالسمسـم وقطعـة مـن الجـبن الأبيـض ملفوفـة في أوراق مجلـة ملسـاء سـميكة.. مـد يـده وأخـرج زجاجـة ومـال بنصـف جسـده الأيمـن في اتجـاه النهـر يملأهـا .. كان الغـروب يلـوح في الأفـق والشـمس تسـتعد لتقبـل صفحـة المـاء .. وكانـت المطاعـم النيليـة قـد بـدأت تتـلألأ بالأنـوار وصـوت موسـيقى عـالي كان قـد بـدأ يخـترق المـكان.

***

الوتر العشرون

غريب

«بداخلنا براح أكبر من الكون الفسيح »

هرولتُ مسرعًا أجتاز السلالم الملساء في قفزات معدودة .. كانت الساعة وقتها تشير للواحدة صباحًا .. وصلت إلى الرصيف وصوت المذيع الداخلي ينوه أن القطار القادم هو الأخير هذه الليلة .. انطلقت إشارات ضوئية وأصوات الإنذار لتعلن وصول القطار .. توقف القطار لثوان معدودة ثم فُتحت أبوابه ولم ينزل أحد ..

دفعت نفسي للداخل وجلست في أول مقعد صادفته وأطلقت زفرة قوية .. كانت العربة فارغة تمامًا، شعرت بالنشوة من غياب الزحام والتكدس المعتاد ورائحة العرق التي تلجم الأنفاس .. وفى ثالث محطة للقطار ركب شخص ما.

لم أنتبه في البداية رغم أن الرجل جلس في المقعد المقابل لي مباشرة .. التفت فجأة وقد كانت ملامح الرجل تشير إلى أنه قد جاوز السبعين من عمره .. كان الرجل أشعث الشعر يرتدى بدلة سوداء اللون وقد تراكمت فوق كتفه أطنان من الغبار الكثيف.. تطلعت في ملامح الرجل فرأيت عينه قد احمرت وكأن مادة حارقة قد

سُكبت بداخلها.

كان الرجل ينتفض كالمحموم وهو يحاول أن يقبض على طرف المقعد المعدني بيده الضخمة والتي بدت عروقها نافرة ويكسوها شعر أبيض كثيف .. ظننت لوهلة أنه مريض نفسي هرب من أهله أو من مصحة تأهيل .. خُيِّل إلى أنه قاتل، قتل زوجته وأولاده ثم لاذ بالفرار .. غلبني الفضول فنظرت إليه متسائلاً: هل أنت بخير؟ .. رفع الرجل رأسه وهمس بصوت مخنوق وغالب دموعه التي غلبته: رفيقة حياتي توفاها الله اليوم وأنزلتها قبرها بيدي وليس لنا ولد .. وليس لي أحد .. ضممت على يد الرجل .. وأجهشنا نحن الاثنان بالبكاء ...

الوتر الحادي والعشرون

قطة

« خُلقت إنسان فحاول أن تظل»

جلست علي أريكتي المفضلة ممسكًا بالريموت كونترول ورحت أقُلّب بشكل عشوائي في المحطات الفضائية التي تشابهت لحد الملل .. قررت أن أغلق التلفاز وأتجول في أرجاء البيت الخاوي .. فقد سافر كل أفراد الأسرة إلي المصيف ومنعني ارتباطي بالعمل أن أشاركهم فظللت أتخبط في الوحدة القاتلة.. وبينما أنا علي هذه الحال إذ قطع الصمت صوت مواء قطة مملوء بالوجع يأتي من تلك الغرفة المظلمة التي تقابل غرفة المعيشة .. انطلقت نحو الغرفة وأشعلت النور .. أفزعني المنظر الذي رأيته فقد كانت قطتنا الأليفة بلونها الأبيض الذي تشوبه مساحات من اللون الكافيه قد افترشت السجادة الحمراء الإيرانية باهظة الثمن وبدا بطنها منتفخًا ويسيل من أسفل ذيلها خيط رفيع من الدم .. ظننت لأول وهلة أنها جريحة لكن سرعان ما فطنت أنها في لحظات مخاضها .. لم أكن أعلم أن قطتنا الأليفة عشار وها هي الآن تضع أولادها في الوقت الذي لا يوجد فيه أحد غيري بالبيت .. يا للحظ الرائع !!

تركت نور الغرفة مضاء ورجعت إلى الأريكة .. مضى وقت طويل من التفكير في كيفية التصرف في هذا الموقف .. هل أطرق باب الجيران؟ .. الوقت غير مناسب بالطبع فالساعة قاربت الثالثة

فجـرًا .. ومـاذا سـأخبرهم؟ أن قطتنـا الأليفـة تلـد؟ .. هـل أتصـل بتلـك الجمعيـات التـي تهتـم بالحيوانـات؟ .. لا أعـرف لهـم أي رقـم .. وإن وجـدت رقـم عـلى شـبكة الإنترنـت وتواصلـت معهـم هـل سـيهتم أحـد؟ ومتـى؟؟ .. مـرت فـترة مـن آخـر مـرة ألقيـت فيهـا نظـرة سريعـة عـلى القطـة وعـدت إلي أريكتـي أتلـوى في الانتظـار .. وبينـما أنـا عـلى هـذه الحـال إذ سـمعت فجـأة صـوت صراخ القطـة يعلـو ثـم يخبـو ثـم خالطـه فجـأة أصـوات متداخلـة مـن مـواء حـاد رفيـع عـالي النغمـة يشـبه بـكاء الطفـل ..

انطلقـت عـلى الفـور أتفحـص الوضـع الشـائك .. كانـت القطـة مـا زالـت ممـدة عـلى الأرض بينـما يطـوف بهـا أربعـة مـن صغارهـا بالكاد اسـتطاعوا المـشي وحمـل أجسـادهم التـي كان يغلفهـا طبقـة رقيقـة شـفافة مـن بقايـا الـولادة .. كانـت أعينهـم مغلقـة وقـد انكبـوا عـلي الأم المجهـدة يلتمسـون موضـع ثديهـا وكأنهـم يعرفـون وجهتـم جيـدًا.. انطلقـت نحـو المطبـخ أفكـر في وسـيلة للمسـاعدة .. فتحـت الثلاجـة ورحـت أبحـث عـن طعـام، كانـت خاويـة إلا مـن بعـض شرائـح «اللانشـون» الـذي اشـتريته قبـل يومـين .. مـددت يـدي والتقطـت اللفافـة وانطلقـت نحـو الغرفـة .. جلسـت عـلى ركبتـيّ وبـدأت ألقـى إليهـا بالشرائـح واحـدة تلـو الأخـرى ...

***

الوتر الثاني والعشرون
ثلاثة على الطريق

« هي لحظة ..

قد تغير كل شئ، وقد لا تغير أي شئ »

اختلط صوت أم كلثوم القادم من الراديو مع صوته وهو يتأفف ويخبط بيده دركسيون السيارة .. ضغط فجأة علي الفرامل وقد بدأ دخان كثيف يتسلل إلي داخل السيارة.. هبت زوجته من نومها بالمقعد المجاور له وقد أصابتها كحة خفيفة .. إيه اللي حصل؟ لم يجبها وظل يتمتم: وبعدين إيه العمل في الورطة المنيلة بستين نيلة دي .. قلتلك ١٠٠ مرة نسافر بالأوتوبيس لكن أنتِ صممتِ نسافر بالزفت دي ..

نزل من السيارة وكان الطريق السريع مظلم ولا أثر لأي سيارة تلوح في الأفق .. فتحت هي باب السيارة من ناحيتها وأنزلت قدميها علي الأرض .. فتح كبوت السيارة .. أعماه الدخان الكثيف الذي تصاعد في وجهه، رزع الكبوت.

التزما الصمت الذي كانت تتخلله كل برهة بعض المناوشات الكلامية .. مرت ساعة .. ساعتان .. لا يتذكر أخر مرة جلسا فيها بمفردهما ودار بينهما حوار .. مشغول هو دائمًا بعمله ومشغولة هي بتربية الأولاد .. المكان هادئ .. الأولاد عند جدتهم .. لا توجد إشارة شبكة في الهاتف المحمول .. تلال من الرمل الناعم .. ظلام يشبه القبر .. نظر لعينيها اللتين لمعتا في الظلام وقد امتلأتا بالدموع وخالطهما الكحل، فبدا وجهها كلوحة زيتية سالت عليها الألوان ..

ضم على يدها وسألها: فاكرة أيام زمان؟ ...

***

الوتر الثالث والعشرون
الشجرة الأم .. في الختام كانت هي

«طوبى للقاء
شاء اللّه له ألا يكون على هذه الأرض»

كانـت عقـارب السـاعة تشـير للعـاشرة صباحًـا حـين رن جـرس الهاتـف بينـما كان يسـتعد أن يغـادر لمقـر عملـه .. تـردد قليـلاً قبـل أن يلتقـط سـماعة الهاتـف .. قـرر أخـيرًا أن يـرد عـلى عجـل.

ارتعـش كمـن لامسـه الجـن حـين سـمع عبـارة «البقـاء للـه» وظلـت أذنـه تطـن فلـم يسـتطع أن يكمـل باقـي الحـوار .. كان يخـشى جـرس الهاتـف ولذلـك كان يجعـل هاتفـه الشـخصي دومًـا عـلى وضـع الصامـت .. كان يعلـم أن تلـك اللحظـة آتيـة لا محالـة ولـن تجـدي معهـا كل محـاولات الهـرب.

تذكـر سـاعتها وصيتهـا .. صمتهـا .. جلسـتها .. عنادهـا الـذي يشـبه طفلـة لم تتجـاوز العامـين مـن عمرهـا .. صلاتهـا وهـى واقفـة .. صلاتهـا فـوق سريرهـا وقـد أقعدهـا المـرض .. كيـس أدويتهـا .. مفتـاح مخزنهـا.. طقوسـها الخاصـة في ليـالي رمضـان .. يدهـا التـي كانـت تربـت عليـه كل صبـاح .. حلوتـه المفضلـة التـي كانـت تكنزنهـا لأجلـه .. وخفـاش اخـترق الحجـرة فهـب الجميـع كأنهـم في طقـوس حـضرة ذكـر عليـة .. وموعـد اللقـاء المرتقـب الـذي لم يـأتِ أبـدًا .. وظلـت صورتهـا تطـوف

بمخيلتـه وهـى عـلى أريكتهـا المفضلـة وفوقهـا مروحـة السـقف بصوتهـا الـذي يشـبه طنـين الدبابـير .. كانـت قـد تمـددت وأسـندت رسـغها إلى رأسـها المثقـل بالهمـوم ..

تنتظر قدومه .. وينتظر رؤيتها ...

***

الوتر الرابع والعشرون

فواصل

« أول الحب قصيدة ونهايته قصة قصيرة »

* الحب نورُ الله على الأرض حين نحسن استقباله.

* بأيدينا نكون نسخ متشابهة أو حاملين لرسالة خاصة لتطهير العالم.

* الحب استعداد نفسي وكذلك الفشل فيه أيضًا.

* كل إنسان لديه القدرة على العطاء وذلك يتوقف على مفهوم العطاء في حد ذاته.

* حين نسامح فنحن لا نغفر .. فالمغفرة من صفات الله، نحن نحاول فقط أن ننسى الإساءة.

* الهروب بدعة حسنة حين يحاصرنا دعاة الكفر بالأحلام.

* الغواية ليست مرتبطة بأنثى، فالشيطان الذكر هو من ابتدعها.

* حين نخطئ نتوهم أننا لا نسيء لأحد.

* استعينوا على قضاء حوائج الحب بالإعلان عنه.

* الظلم في الحب عدل .. وأن تكون ظالم في الحب خير من أن تكون مظلوم.

* الدوائر المفرغة هي أقصر الطرق للتعايش السلمي مع الحياة.

* الحب انكسار، ولذلك لا تستقيم معه حياة النبلاء.

* لا تحاول أن توضح لي أنى لُدغت من نفس الجحر ألف مرة، فربما أتلذذ بهذا الفعل .. «الحماقة»!

* النسيان غاية حققها إن استطعت إلى ذلك سبيلا.

* كتمان الحب يشبه كتمان الإيمان، فالله هو من غرسهما بالقلب وهو المطلع عليهما.

* الأخ هو جدار البيت الذي نستند عليه، وهو السقف الذي نستظل به.

* يا إلهي .. امنحني القدرة كي أقيم اعوجاجي وأرمم داخلي المكسور.

تنسى .. تنام .. تهرول .. تمشى على مهل .. تحرق سيجارة .. تتكلم .. تلتزم الصمت .. تكتب .. تحذف ما تكتبه .. تدعوها لفنجان قهوة .. تحادثها ساعات الليل وأطراف النهار .. تحذف رقم هاتفها .. تموج في لحظات جنون .. تنسحب إلى الرتابة .. مراهقة على استحياء .. الاكتئاب يليق بك .. سفر .. غربة .. طنين الأذن .. سبعون عذر .. زيارة لمقام سيدنا الحسين .. اشتياق لعمرة وزيارة قبر الرسول .. تلقى عنك المسئولية .. حلم بحياة جديدة.. أمور متشابهات .. تناقضات .. لحظات استسلام .. هروب متكرر.. محاولة تقبل الواقع .. نرجسيون .. مرضى نفسيون .. حالمون .. صديق حقيقي .. معرفة سطحية .. تافهون .. نمطيون .. فتنة .. خيال .. تمرد .. لحظة حب خاطفة .. لحظات شهوة .. محاولة تغيير .. فرسان المعبد .. محمود درويش .. توم هانكس .. عبّاد الشمس .. قولون عصبي .. ١٩٧٩ .. ياسمين وقمح وأسماك .. أخر مقعد في أخر عربة بالقطار .. عرض مسرحي وتنكر في هيئة رجل .. فرق التوقيت بين قارتين .. والعاديات والسواكن .. تغير الفصول والحالة المزاجية .. برج الدلو .. ثقوب في الذاكرة .. قدرة على التحمل .. نساء مقيمات وامرأة راحلة .. لكررت حبك للمرة الثانية! .. تواطؤ .. تعلم ذاتي .. سأخبر الله بكل شئ .. أشفقْ على

نفسك فكل ذلك لن يفضى إلى شئ .. «لا تصدق كل ما تقرأه» ...

تمت

كُتب هذا العمل على مدار سنوات متقطعة

وتم في شكله الحالي في أثينا في:

٢٢ أغسطس ٢٠١٧ م

كلمة أخيرة

في الغالب الأعم تتحد الرغبة في الكتابة مع الرغبة في الانزواء، والكتابة لا تكون على المشاع ولا وليدة صخب، هي لحظة تفرغ فيها الروح ما مرت به من لحظات يخالطها الفرح والحزن والشجن. الكتابة ليست طريقة للترويح عن النفس بل هي مأساة حقيقية. فأنت حين تكتب تسترجع كل اللحظات والهمسات والأنفاس الحارة. من قال أن الكتابة بديل للطبيب النفسي أو الإدمان أو الانفجار والانهيار؟ فالكتابة في حد ذاتها لحظة انفجار ولكن ستكون وحدك أنت أقرب ما تكون من القنبلة.

وإن كانت الكتابة للعدم فما الداعي لنشرها؟ ربما لأن الشجرة في كل لحظات موتها البطيء من الداخل لا يلحظها أحد وحين تنهار وتبدأ في السقوط يراها الجميع، لعلها النهاية إذنّ !!. أو لعل الداخل لم يعد فيه متسع وفارت القدور التي تغلي بما فيها في صورة كتابة فرآها الناس. وهل الهروب من الشعر إلى القصة محاولة ذكية للتعايش؟ .. ولكن هل سيغير ذلك من الأمر شيئًا؟ .. هل سيهتم أحد؟ .. هل سيبادر بالإنقاذ أحد؟ .. هل ستشعر

ليلتهـا بيـد حانيـة تربـت عـلى كتفـك؟ ..

لم تغير الكتابة ولا النشر شيئًا فها أنت ما زلت تنتظر .. وستظل ..

المحتوى

إهداء ٥
على سبيل التقديم ٧
الشجرة الأم .. في البدء كانت هي ٩
وردشان..... ١٧
هي نور دنياي .. إبداع الأحرف الأولى ٢٥
ثورة الورد ٣٣
دولة الكلمات..... ٣٩
مسافر ٤٥
نيران صديقة جدًا ٥٣
للموت أحضان دافئة ٥٩
ولد ٦٥
تنويعات على الوتر الأول ٧١
في ذكرى موت شئ ما..... ٧٧
الضيف..... ٨٣
خريطة ٨٩

وهز إليك بجذع الحنين ٩٥
الهلال مع الصليب ١٠٣
شارع المحطة ١٠٩
مقعد قرب النافذة.....١١٩
تنفس اصطناعي.....١٢٧
بيت في النيل.....١٣٥
غريب.....١٤١
قطة.....١٤٥
ثلاثة على الطريق ١٤٩
الشجرة الأم .. في الختام كانت هي.....١٥٣
فواصل.....١٥٧
كلمة أخيرة ١٦٣

عن المؤلف:

مـن مواليـد محافظـة قنـا العـام ١٩٧٩، عضـو هيئـة تدريـس بجامعـة القاهـرة، متخصـص في حمايـة الـتراث الثقـافي. حاصـل عـلى درجـة الدكتـوراه مـن جامعـة أرسـطو- اليونـان، ودراسـات مـا بعـد الدكتـوراه بمركـز ترميـم الـتراث بمارسـيليا- فرنسـا. مهتـم بـالأدب بشـتى فنونـه وخاصـة مدرسـة السـطر الشـعري الحديـث والقصـة القصـيرة والرواية. منـذ العـام ٢٠٠٨، نُـشرت لـه مجموعـة متفرقـة مـن القصـص القصـيرة عـلى مواقـع ثقافيـة إلكترونيـة.